جامعة قطر

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

الاغتراب الديني عند فويرباخ أسبابه، تطبيقاته، وآثاره

إعداد

ولاء محمد عماد محمود خطيب

قُدّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلّبات

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

للحصول على درجة الماجستير في برنامج الأديان وحوار الحضارات

يونيو 2024م \ 1445هـ

©2024م. ولاء محمد عماد محمود خطيب. جميع الحقوق محفوظة.

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالب/ة ولاء محمد عماد محمود خطيب بتاريخ 2024\5\12، وَوُفِق عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالب المذكور اسمه أعلاه . وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءًا من امتحان الطالب.

أ. د. أحمد زايد

المشرف على الرسالة

د. عمر بوذينة

مناقش

د. عبد الرحمن حللي

مناقش

أ. د. بشير كردوسي

مناقش

تمّت الموافقة:

الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، عميد كلّيّة الشريعة والدراسات الإسلامية

المُلخَّص

ولاء محمد عماد محمود خطيب، ماجستير في برنامج الأديان وحوار الحضارات:

يونيو 2024.

العنوان: الاغتراب الديني عند فويرباخ أسبابه، تطبيقاته، وآثاره

المشرف على الرسالة: أ.د أحمد زايد

يُعالج هذا البحث نظرية الاغتراب الديني عند فويرباخ، حيث تناولت هذه الدراسة الأسباب التي دفعت فويرباخ للقول بالاغتراب الديني، وتطبيقه لمقولة الاغتراب الديني على المسيحية، وأهم القواعد التي وضعها فويرباخ لحل إشكالية الاغتراب الديني، وتستهل هذه الدراسة بتمهيد يلقي الضوء على مصطلحات البحث، تعريفاً بها، وكذلك تتبع السياق التاريخي لمصطلح الاغتراب، وبيان الفارق بين مفهوم الاغتراب الديني في المسيحية، وفي فلسفة فويرباخ. وقد تناولت الدراسة حياة الفيلسوف فويرباخ وتطور أفكاره، وانتقاله من اللاهوت إلى الفلسفة وأخيراً إلى الإلحاد الجلي في مذهبه الإنسانوي، المذهب الذي تأثر به بعض من فلاسفة الغرب، مثل كارل ماركس ونيتشه، وبعض المفكرين الحداثيين مثل حسن حنفي ومحمود رجب، الذي تأثروا بفلسفة فويرباخ الاغترابية بشكل كبير، فقاموا بتفسير الآيات القرآنية في ضوء أفكار المذهب الإنسانوي. لذلك تكمن أهمية الدراسة في الحوار الديني بالتعقيب على أفكار الحداثيين المتأثرة بالمذهب الإنسانوي الإلحادي، وبيان الموقف الإسلامي الصحيح.

ABSTRACT

Religious Alienation according to Feuerbach: Its Causes, Manifestations, and Effects

This research focuses on Ludwig Feuerbach's concept of religious alienation, examining why Feuerbach introduced the notion of religious alienation, how he applied it to Christianity and the major principles that he formulated about religious alienation. The preliminary section starts by giving an overview of research terms, giving definitions, explaining the historical context of the word “alienation” and explaining the difference between the concept of religious alienation in Christianity and in Feuerbach's philosophy.

The philosopher’s life Feuerbach is traced as well as his transformation from theology to philosophy and finally atheism which is reflected in his humanistic doctrine. This doctrine was adopted by several thinkers in Western such as Karl Marx and Nietzsche; some modern scholars like Hassan Hanafi and Mahmoud Rajab were greatly influenced by Feuerbach’s theory of alienation. Such ideas led them to interpret Qur’anic verses from a humanistic perspective. Consequently, this study is important in interreligious dialogue because it comments on atheistic humanist thought among modernists and articulating the correct Islamic stance.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر لله الذي وفقني وأعانني لإتمام هذا البحث، فالحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه.

وأتقدم بالشكر والامتنان إلى مشرفي الأستاذ الدكتور/ أحمد زايد الذي وجهني وأرشدني لإخراج هذا البحث بأفضل صورة، واسأل الله العلي القدير أن يجازيه خير الجزاء وأن يكتب صنيعه في موازين حسناته.

ويدعوني واجب الوفاء والعرفان بالجميل أن أشكر جميع أساتذتي الكرام، الذين كان لهم يد في تطوير وتعزيز مهاراتي البحثية والأكاديمية، وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور عبد القادر بخوش، والأستاذ الدكتور محمد عياش الكبيسي، والدكتور علاء هيلات، والأستاذ الدكتور عزالدين معميش. فجزاهم الله كل خير، ونفع بهم الأمة الإسلامية.

والشكر كل الشكر إلى مُلهمي ومعلمي الأول أبي الغالي الأستاذ محمد عماد، وإلى قدوتي الأولى في الصبر والإحسان أمي الحبيبة الأستاذة هدى ديرك، وإلى داعمي ومؤنسي زوجي العزيز تميم قناعة.

الإهداء

أهدي هذا البحث

إلى غُرباء الأمة الإسلامية في كل بقاع الأرض

وإلى كل من دافع عن الدين الإسلامي ودعا إليه

فهرس المحتويات

شكر وتقدير ..... د

الإهداء ..... هـ

المقدمة 1

الفصل الأول: الاغتراب الديني وفويرباخ مدخل تعريفي..... 10

المبحث الأول: الاغتراب، والاغتراب الديني، تعريفه ونشأته، والمصطلحات ذات الصلة. 10

المطلب الأول: تعريف الاغتراب، والمصطلحات ذات الصلة 10

المطلب الثاني: نشأة الاغتراب وسياقاته التاريخية.....24

المطلب الثالث: مفهوم الاغتراب الديني بين الفكر المسيحي وفلسفة فويرباخ 41

المبحث الثاني: فويرباخ حياته وأفكاره (1804–1872) 49

المطلب الأول: نشأة فويرباخ ولمحات من حياته 49

المطلب الثاني: فويرباخ واللاهوت (1818–1822) 52

المطلب الثالث: فويرباخ والتحول نحو الفلسفة (1823–1828) 56

الفصل الثاني: موقف فويرباخ من الاغتراب الديني وأثره في نقد المسيحية 63

المبحث الأول: الاغتراب الديني لدى فويرباخ، أسبابه وتطبيقه على المسيحية وعلاجه..... 65

المطلب الأول: أسباب القول بالاغتراب الديني عند فويرباخ 65

المطلب الثاني: تطبيق فويرباخ مقالة الاغتراب الديني على المسيحية 76

المطلب الثالث: نفي الاغتراب الديني وقهره في فلسفة فويرباخ 99

المبحث الثاني: الآثار المترتبة على فلسفة فويرباخ في الاغتراب الديني 113

المطلب الأول: أثره في الفكر الغربي (كارل ماركس، نيتشه) نموذجاً 114

المطلب الثاني: أثره في الفكر العربي الحداثي (حسن حنفي، محمود رجب) نموذجاً 126

المطلب الثالث: الموقف الإسلامي الصحيح من الاغتراب الديني والإنسانوية 135

الخاتمة 149

أولاً: النتائج 149

ثانياً: التوصيات 151

قائمة المصادر والمراجع 152

مقدمة

تعرض الدين في جميع أزمانه لحملات نقدية شرسة، كانت أشرس هذه الحملات وأصعبها في بداية القرن التاسع عشر، القرن الذي وصف بعصر الإلحاد، وعصر النظريات المتطرفة، وقد تباينت التيارات النقدية للدين، بحدتها وموضوعها ومنطلقها.

إلا أن فويرباخ استوحى نقده للمسيحية، من فكرة ونظرية كانت شائعة آنذاك بكثرة، وهي نظرية الاغتراب، فمفكرون كُثر درسوا مفهوم الاغتراب وقاموا بتطبيقه في فلسفاتهم الاجتماعية، والسياسية، وكذلك الاقتصادية. ويمكننا أن نعتبر أن فويرباخ قد تفرد بنظريته حول الاغتراب الديني، فقد سعى فويرباخ في نقده للدين بشكل عام، والمسيحية بشكل خاص إلى إظهار أن التضاد بين الإلهي والإنساني هو تضاد وهمي كلياً، وما هو إلا تضاد بين الطبيعة الإنسانية بشكل عام والفرد الإنساني.

وقد سعى أيضاً لبيان أن موضوع الدين المسيحي ومحتوياته إنسانية بأكملها، لذلك قام بنقد عقائد المسيحية البروتستانتية، والأسرار المقدسة، في ضوء نظرية الاغتراب أولاً، ومركزية الإنسان ثانياً.

ومن ثم فإن هذه الدراسة: "الاغتراب الديني عند فويرباخ أسبابه، تطبيقاته، وآثاره"، تسلط الضوء على نقد فويرباخ للدين المسيحي، ودراسة إسقاطات فويرباخ الأنثروبولوجية على الدين المسيحي، ومن ثم دراسة آثار فلسفة فويرباخ الإنسانوية، والتي تمثلت بإسقاطات المفكرين الحداثيين، لأفكار الإنسانوية، على الآيات القرآنية، وتحريف مفهوم الاغتراب في الإسلام.

أولاً: مشكلة الدراسة

تكمن مشكلة هذه الدراسة فيما أسسته نظرية الاغتراب الديني لدى فويرباخ، من أفكار ناقضة للدين، ونافية لكل ما هو إلهي وما هو فوق الطبيعة أي ما يتجاوز مجال الزمان والمكان الطبيعي. فتأليه الإنسان ونقد الدين المسيحي وفق منهج حسي ومادي، كانت أهم أفكار فويرباخ الفلسفية، والتي دعا إليها من خلال نظريته حول الاغتراب الديني. وتأثر بها عدد من الفلاسفة الغربيين والمفكرين الحداثيين.

كذلك عمدت الدراسة إلى رصد آثار المنهج الفويرباخي الإنسانوي في الفكر الحداثي في الحقل الإسلامي، وتأصيل للموقف الإسلامي الصحيح من فلسفة فويرباخ الإلحادية.

فالبحث معني بعرض فلسفة الاغتراب الديني عند فويرباخ وأسبابها وتطبيقاتها وآثارها بالإجابة التفصيلية عن أهم الأسئلة:

1. ما معنى الاغتراب الديني في فكر فويرباخ؟
2. ما أسباب قول فويرباخ بمقولة الاغتراب الديني؟
3. كيف طبق فويرباخ مقولته في الاغتراب الديني على الدين المسيحي؟
4. ما أهم القواعد التي وضعها فويرباخ لحل الاغتراب الديني؟
5. هل أثرت فلسفة فويرباخ الإنسانوية في الحداثيين مثل محمود رجب وحسن حنفي؟ وما الموقف الإسلامي الصحيح من الفكر الحداثي المتأثر بفلسفة فويرباخ الإنسانوية الملحدة؟

ثانياً: الحدود الزمانية والمكانية

يشمل نطاق البحث دراسة فلسفة الملحد الألماني فويرباخ ومنهجه الاغترابي خلال القرن التاسع عشر، والمفكرين الحداثيين الذين تأثروا بفلسفته.

ثالثاً: فرضيات الدراسة

تتمثل فرضيات البحث في النقاط الآتية:

1. استوحى فويرباخ نقده للمسيحية من فكرة الاغتراب وأسس نظريته على أساسها.
2. أراد فويرباخ تحليل الدين المسيحي وفق نظريته الأنثروبولوجية من خلال تفسير عقائده كمحمولات إنسانية لا إلهية.
3. تأثرت عدة مدارس فلسفية بنظرية فويرباخ الاغترابية.
4. الموقف الديني الإسلامي الصحيح، من المذهب الإنساني موقف واضح وصريح.

رابعاً: أهمية الدراسة

1- إلقاء الضوء على مفهوم الاغتراب بشكل عام، والاغتراب الديني بشكل خاص.

2- بيان الفارق بين مصطلح الاغتراب الديني في الفكر المسيحي، وفلسفة فويرباخ الإلحادية.

3- بيان الأثر الكبير لنظرية فويرباخ حول الاغتراب الديني في العالم الغربي والعالم العربي.

4- تأصيل موقف إسلامي صحيح حول مفهوم الاغتراب الديني وأهمية الإنسان.

خامساً: أهداف الدراسة

1. التعرف على مفهوم الاغتراب، والاغتراب الديني وتتبع سياقاته التاريخية.
2. التعرف على مفهوم نظرية الاغتراب الديني لدى فويرباخ.
3. بيان الموقف الفلسفي الذي اتخذه فويرباخ لحل إشكالية الاغتراب الديني.
4. رصد الآثار المترتبة على ظاهرة الاغتراب الديني في الفكر الحداثي الإسلامي، وتأصيل موقف إسلامي واضح وصريح من فلسفة فويرباخ الإنسانوية الإلحادية.

سادساً: منهجية الدراسة

يقوم البحث على منهجية تاريخية استقرائية، ثم تحليلية استنباطية، تنظر في النشوء التاريخي لمفهوم الاغتراب، واستقراء الأسباب الخاصة بفويرباخ التي دفعته للقول بنظرية الاغتراب الديني، ثم تحليل واستنباط مآلات فلسفة فويرباخ الاغترابية، وتأثر الفكر الحداثي بفلسفة فويرباخ.

سابعاً: الدراسات السابقة

بعد الاطلاع على العديد من الدراسات السابقة لم أجد دراسة شاملة لموضوع البحث إذ لم تتم مناقشة هذا الموضوع بالصورة التي طرحتها سواءً كان ذلك من الناحية الشكلية أو من الناحية الضمنية، وما وجدت إلا أجزاء متفرقة تناولت موضوعات غير مكتملة من هذه الدراسة. **ومن أبرز هذه الدراسات ما يلي:**

- رسالة ماجستير بعنوان "**مفهوم الاغتراب في فلسفة فيورباخ**" للباحثة فاطمة الزهراء دشوش، قسم الفلسفة، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، 2020

تناولت هذه الدراسة ماهية ودلالات مفهوم الاغتراب، وكذلك الجذور التاريخية والفلسفية للمفهوم، وأنواع الاغتراب، وكذلك تضمنت إشكالية الاغتراب عند فويرباخ بشكل مختصر جداً، ثم بحثت في الامتداد الفلسفي لفكرة الاغتراب لدى فويرباخ عند كل من كارل ماركس وإيريك فروم.

تكمن أهمية هذه الدراسة في تناولها ظاهرة الاغتراب الديني، حيث بحثت في الفصل الأول في السياق الفلسفي لفكرة ومفهوم الاغتراب، وكذلك تتبعت جذوره التاريخية، وعددت أنواعه والتي منها السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، من أهمها أن نقد فويرباخ للدين لا يعتبر إلحاداً بقدر ما هو إعادة اعتبار للبعد الإنساني، ربط فويرباخ الاغتراب بالدين، تجاوز الاغتراب عند فويرباخ يكون بالعاطفة، فالحب يوحد بين الله والإنسان، تأسيس فويرباخ لفلسفة إنسانية، بإرجاعه لأهمية الإنسان كونه مصدر القيم والحب.

إلى جانب أن هذه الدراسة تعتبر دراسة مختصرة جداً، فلم تبين الدراسة منهج فويرباخ في الاغتراب الديني، كذلك فإن النتائج المستخلصة هي نتائج غير دقيقة. **وهذا ما سأقوم بتبينه في بحثي هذا بشكل واضح ومفصل.**

فقد أعلن فويرباخ بنفسه إلحاده، وفلسفته القائمة على تأليه الإنسان والطبيعة، وتفسير العقائد المسيحية بحسب فلسفته الأنثروبولوجية، دليل كافٍ على أنه يُنكر أي قوة خارجية إلهية تعتني بالإنسان وتكفله.

- **كتاب بعنوان "فلسفة فويرباخ بين المادية والإنسانية" للكاتبة نادية النصراوي، دار الرافدين، بيروت، 2016.**

هدفت الكاتبة إلى دراسة فلسفة فويرباخ بشكل شامل ودقيق من حيث تتبع انتقالاته الفكرية، من مرحلة انشغاله باللاهوت، ثم الانفصال عن اللاهوت والتوجه صوب الفلسفة، وأخيراً استقلالية فلسفته الأنثروبولوجية ونقده لهيغل.

وخَلُصت الدراسة إلى أن الفلسفة الفويرباخية فلسفة خاصة متجاوزة لفلسفة هيغل المثالية، وأعادت تأسيس النزعة المادية من خلال قلب الفلسفة الجدلية وإعادتها إلى جذورهما المادية، كما وضع فويرباخ فلسفة جديدة لفهم العلاقة بين الفكر والوجود لفهم الطبيعة وبالتالي فهم الإنسان.

إلا أن الكاتبة لم تدرس الاغتراب الديني عند فويرباخ من جميع جوانبه، بل اقتصرت على شرح مختصر لتجربته الاغترابية دون ذكر الأسباب، والآثار المترتبة سواء كانت على الفكر الغربي مثل كارل ماركس أو الفكر العربي مثل حسن حنفي. وكذلك لم تذكر الدراسة الموقف الإسلامي من الأفكار الحداثية عند (حسن حنفي، محمود رجب) التي تأثرت بأفكار فويرباخ الإنسانية. وهذا ما قمت أنا به في هذه الرسالة.

- **بحث بعنوان "مقالة الاغتراب الديني وتطبيقها على الإلهيات عند حسن حنفي دراسة تحليلية نقدية" مقدم إلى المؤتمر العلمي "تجديد العلوم العربية والإسلامية بين الأصالة والمعاصرة" المنعقدة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق جامعة الأزهر، 2021، إعداد الدكتور أحمد السيد عبد الحميد محمد الفار.**

هدف الدكتور أحمد السيد في هذه الدراسة إلى بيان تأثر حسن حنفي بفلسفة فويرباخ، وتجاهله لطبيعة الإلهيات في الإسلام عن غيرها من الأديان الأخرى، فحاول جعلها إنسانية كما فعل ذلك فويرباخ مع المسيحية. وطبق مقالة الاغتراب الديني على الإلهيات. فكان هدف هذه الدراسة بيان مواطن الخلل في فكر حنفي، وكيف أنه أنكر البديهيات وحرف المسلمات.

لقد استفادت الباحثة من هذه الدراسة بشكل كبير فيما يخص تأثر فكر حنفي بفلسفة فويرباخ، وأضافت في بحثها تأثر محمود رجب بفلسفة فويرباخ، وكذلك الفلاسفة الغربيين.

ثامناً: خطة الدراسة

تأتي هذه الرسالة في مقدمة وفصلين على النحو الآتي:

المقدمة: وتشمل على إشكالية الدراسة وأهميتها، وأهدافها، والدراسات السابقة، ومنهج البحث

الفصل الأول: الاغتراب الديني، وفويرباخ مدخل تعريفي

المبحث الأول: الاغتراب، والاغتراب الديني، تعريفه ونشأته، والمصطلحات ذات الصلة

المطلب الأول: تعريف الاغتراب، والمصطلحات ذات الصلة

المطلب الثاني: نشأة الاغتراب وسياقاته التاريخية

المطلب الثالث: مفهوم الاغتراب الديني بين الفكر المسيحي وفلسفة فويرباخ

المبحث الثاني: فويرباخ حياته وأفكاره (1804-1872)

المطلب الأول: نشأة فويرباخ ولمحات من حياته

المطلب الثاني: فويرباخ واللاهوت (1818-1822)

المطلب الثالث: فويرباخ والتحول نحو الفلسفة (1823-1828)

الفصل الثاني: موقف فويرباخ من الاغتراب الديني وأثره في نقد المسيحية

المبحث الأول: الاغتراب الديني لدى فويرباخ، أسبابه، وتطبيقه على المسيحية وعلاجه

المطلب الأول: أسباب القول بالاغتراب الديني عند فويرباخ

المطلب الثاني: تطبيق فويرباخ مقالة الاغتراب الديني على المسيحية

المطلب الثالث: نفي الاغتراب الديني وقهره في فلسفة فويرباخ

المبحث الثاني: الآثار المترتبة على فلسفة فويرباخ في الاغتراب الديني

المطلب الأول: أثره في الفكر الغربي (كارل ماركس، نيتشه) نموذجاً

المطلب الثاني: أثره في الفكر العربي الحداثي (حسن حنفي، محمود رجب) نموذجاً

المطلب الثالث: الموقف الإسلامي الصحيح من الاغتراب الديني والإنسانوية

الخاتمة: وتحتوي على النتائج، التوصيات، قائمة المراجع والمصادر.

الفصل الأول: الاغتراب الديني وفويرباخ مدخل تعريفي

يُعنى هذا الفصل في مبحثيه بدراسة الجانب النظري، فيُبَيّن المبحث الأول مفهوم الاغتراب الديني، ويُعرّف المصطلحات ذات الصلة به، كالاستلاب، التَّخارج، والنقد. ودراسة السياق التاريخي لنشأة المصطلح، منذ القرون الوسطى إلى القرن التاسع عشر تحديداً، وهي الفترة التي نشأت فيها فلسفة فويرباخ، حيث قام فويرباخ بتضمين مصطلح الاغتراب الديني في كتبه ومؤلفاته وفلسفته بشكل عام؛ ولذلك كان من الضروري بيان الفرق بين مفهوم الاغتراب الديني في الفكر المسيحي وفلسفة فويرباخ.

أما المبحث الثاني، فيَتناول التعريف بالفيلسوف لودفيغ فويرباخ، وذكر سيرته الذاتية بين دراسة اللاهوت، وتبني الفلسفة.

المبحث الأول: الاغتراب، والاغتراب الديني، تعريفه، نشأته، ومفهومه بين المسيحية وفلسفة فويرباخ

المطلب الأول: تعريف الاغتراب، والمصطلحات ذات الصلة

- **معنى الاغتراب في المعاجم العربية:**

ورد مصطلح الاغتراب في معاجم اللغة العربية، بعدة معانٍ واستعمالات مختلفة، فقد ورد بمعنى الغربة المكانية: كالهجرة من الوطن، والغربة كذلك داخل الوطن، كأن يفقد الإنسان ذاته، أو يشعر بالغربة في مجتمعه.

ففي لسان العرب ذكر ابن منظور أن (الغرب: الذهاب والتنحي عن الناس. وفي الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتغريب الزاني سنة، إذا لم يحصن[1]؛ وهو نفيه عن بلده. والغربة والغَربُ: النوى والبعد، وقد تغرب. وغربة النوى: بُعدُها. والتغريب: النفي عن البلد. وغَرَبَ: أي بعُد. والتغرب يعني البعد. والغربة والغُرْب: النزوح عن الوطن والاغتراب. والاغتراب والتغرب كذلك؛ تقول منه تغرب واغترب وقد غربه الدهر. وغريب: بعيد عن وطنه؛ الجمع غرباء، والأنثى غريبة"[2].

"وفي الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم، سُئل عن الغرباء، فقال: "الذين يحيون ما أمات الناس من سنتي". وفي حديث آخر: "إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء"[3]. واغترب الرجل: نكح في الغرائب، وزوج إلى غير أقاربه. والاغتراب افتعال من غربة"[4].

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة ورد الاغتراب بعدة معانٍ منها: غَرُب فلان، غَرُب الشيء: غاب واختفى، بَعُدَ وتَنَحَّى، اغْرُب عن وجهي: ابتعد عني. واغترب يغترب، اغتراباً، فهو

---

[1] أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف والسارق والزاني، ج3، ص171، رقم (2649).

[2] يُنظر: ابن المنظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، **لسان العرب**، تحقيق: ياسر سليمان أبو شادي، ومجدي فتحي السيد، (القاهرة: دار التوفيقية للتراث، ج11، ب.ط، 2009)، 23.

[3] رواه مسلم في **صحيحه**، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وإنه يأزر بين المسجدين، ج1، ص130، رقم (145).

[4] ابن المنظور، **لسان العرب**، ج11، ص24.

مغترب، واغترب الشخص: بَعُد، نزح عن وطنه، أو تزوج من غير أقاربه. أو اغترب داخل بلاده أي أحس بالغربة فيها[1].

واغتراب: مصدر اغترب. فَقَدَ الإنسانُ ذاتَه وشخصيته مما قد يدفعه إلى الثورة لكي يستعيد كيانه. والاغتراب الذهني: مرض نفسي يحول دون سلوك المريض سلوكاً سوَّياً وكأنه غريب عن مجتمعه، ولذا يلجأ إلى العزلة عنه. واغترابيّ: اسم منسوب إلى الاغتراب[2].

ويتضح مما ورد في معاجم اللغة العربية بأن أهم معاني الاغتراب، هي النزوح عن الوطن ومفارقته، والبعد والنوى، والذهاب والتنحي عن الناس والانفصال عنهم سواء كان الانفصال إجبارياً دون رغبة للفرد في ذلك أم اختيارياً أي بمحض إرادة الفرد للهجرة، أو الانعزال. ويمكن القول بأن المعاجم العربية ذكرت الاغتراب بمعناه المكاني، والمجتمعي، والمرضي. ولم تذكر سياقات أخرى لمصطلح الاغتراب، كالسياق القانوني، أو الوظيفي.

وأما الاغتراب الديني فلم يُذكر في معاجم اللغة العربية، عدا معجم لسان العرب الذي ذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم عندما سُئل عن الغرباء، وحديث "بدأ الإسلام غريباً"، ولكن لم يتم تعريف مصطلح الاغتراب الديني بشكل واضح في معاجم اللغة العربية.

كذلك لم تذكر معاجم اللغة العربية الفرق بين الاغتراب والغربة، فقد عَّرف معجم لسان العرب الاغتراب بأنه افتعال من الغربة، وعرّف المعجم الوسيط الغربة بالنوى والبعد، وفي معجم

---

[1] يُنظر: عمر: أحمد مختار عبد الحميد، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، بمساعدة فريق عمل، (القاهرة: عالم الكتب، ط1، 2008م)، ج1، ص1601.

[2] عمر: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج1، ص1601.

اللغة العربية المعاصرة، ذُكرت كلمة غربة بمعنى الغُربة الروحيَّة، واعتبار فقد الأحبّة غُرْبة، فمن فَقَدَ أحبّتَه صار كالغريب بين الناس، وإن لم يفارق وطنَه. فليس هنالك فرق كبير بين معاني المصطلحين الاغتراب والغربة في المعاجم العربية.

- **معنى الاغتراب لغة في المعاجم الغربية:**

إن الأصل اللاتيني لكلمة اغتراب هو alienatio ويَسْتِمدُ هذا الاسم معناه من فعل Alienareبمعنى تحويل شيء ما لملكية شخص آخر أو الانتزاع أو الإزالة وهذا الفعل مستمد بدوره من فعل آخر هو Alienus أي ينتمي إلى شخص آخر أو يتعلق به، وهذا الفعل الأخير مستمد بصفة نهائية من لفظ Alius الذي يعني الآخر[1].

وذكر الاغتراب في معجم الإنجليزية الوسيطة، في مجال اللاهوت بمعاني عدة مثل: الغربة عن الله والاغتراب والمفارقة بين الله والإنسان.

ويشرح قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية مصطلح الاغتراب بصورة بالغة العمومية بالقول: بأنه التحول في المشاعر أو العواطف أو جعل شخص ما مكروهاً أو معادياَ، وكذلك يشرح فعل (يغرب) بمعنى جعل شخص ما يشعر بأنه غير منتمٍ لمجموعة معينة من الناس[2].

وعرفت موسوعة لالاند الفلسفية مصطلح الانسلاب بأنه "بيع أو تنازل عن حق إلى شخص آخر، ومجازاً: حال المنتسب إلى آخر (مولى، مملوك)"[3].

---

[1] شاخت: ريتشارد، **الاغتراب**، ترجمة كامل يوسف حسين، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1980) ص63.

[2] https://www.oxfordlearnersdictionaries.com/definition/english/alienation

[3] لالاند: أندريه، **موسوعة لالاند الفلسفية**، تعريب خليل أحمد خليل، (بيروت، باريس: منشورات عويدات، ط2، 2001) ص43.

الاغتراب اصطلاحاً:

استخدم مصطلح الاغتراب في دلالته الاصطلاحية ضمن سياقات عدة وفي كل سياق يختلف المعنى والمراد عن بقية السياقات، وهي كالآتي:

1- السياق القانوني: حيث يدل الفعل اللاتيني Alienare أي يغترب، على نقل ملكية شيء ما من شخص لآخر، وجعل شيء ما منتمياً إلى شخص آخر [1]. وهذا يعني أن ما هو ملك لي، يصبح ملكاً لغيري. وهو الانتقال غير القانوني للملكية من إنسان إلى إنسان ومن الشعب إلى شعب آخر [2]. وبذلك ارتبط المفهوم القانوني للاغتراب بالتنازل عن الملكية سواء كان هذا الفعل بشكل اختياري، أو تعسُّفي.

2- السياق الديني: يختلف معنى الاغتراب الديني بين الديانات التوحيدية الثلاث، اليهودية، المسيحية والإسلام. ففي كل ديانة يدل مصطلح الاغتراب الديني على معنى مختلف عن الآخر، وسوف يتم التفصيل في معنى الاغتراب الديني في نهاية هذا المطلب.

3- السياق الاجتماعي: وهو التسبب في فتور علاقة ودّيَّة مع شخص آخر، أو جعل شخص ما مكروهاً، كما يمكن أن يشير إلى الوضع الناجم عن حالة الانفصال، أي حصول شقاق بين طرفين تكون قد ربطتهما علاقة ودية قبل هذا الشقاق [3].

---

[1] شاخت، **الاغتراب**، ص63.

[2] مساعدية: لزهر، **نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي**، (الجزائر: دار الخلدونية، د.ط، 2013) ص12.

[3] شاخت، **الاغتراب**، 65

إذا فالاغتراب الاجتماعي يخص العلاقات الاجتماعية التي من شأنها أن تجعل المجتمع الإنساني متكاملاً ومترابطاً في تواده وتراحمه، أو مفككاً ومغترباً عن بعضه البعض في فتوره وتفككه، فيصبح المرء مغترباً عن مجتمعه وأقرانه، في حال الخصام، أو عدم توافق الآراء والشخصيات.

4- السياق النفسي أو السيكولوجي: وهي الحالة التي يفقد فيها الإنسان قواه العقلية أو الحسية. أو هو شلل أو قصور القوى العقلية أو الحواس لدى المرء، كما هو الحال في نوبات الصرع أو ما يقع نتيجة لصدمة قوية [1].

5- السياق الاقتصادي: وهو مرتبط بالنظرية التي أسسها (كارل ماركس) في نقده للرأسمالية، حيث اعتبر ماركس أن النظام الرأسمالي، ومعاملة العامل كسلعة، هو السبب في اغتراب الفرد عن مجتمعه، وناتجه، وعمله وكذلك ذاته، حيث يذهب جهد العمال كله إلى غيرهم من الرأسماليين الكبار. يقول كارل ماركس في كتاب مخطوطات فلسفية وسياسية: "حقيقة أن العمل خارجي عن العامل، أي أنه لا ينتمي إلى وجوده الأساسي، وأنه بالتالي لا يؤكد ذاته في العمل وإنما ينكرها، لا يشعر بالارتياح، بل بالتعاسة، لا ينمّي بحرية طاقته البدنية والذهنية وإنما يقتل جسده ويدمر ذهنه، ومن هنا فإن العامل إنما يشعر بنفسه خارج العمل، وهو في العمل يشعر بأنه خارج نفسه"[2].

---

[1] شاخت، **الاغتراب**، 64

[2] ماركس، كارل، **مخطوطات كارل ماركس لعام 1844**، ترجمة: محمد مستجير مصطفى (القاهرة: دار الثقافة الجديدة، د.ط، 1974) ص71.

وقد كتب الدكتور طارق بن موسى العتيبي عن الاغتراب الوظيفي، وفصّل فيه في كتابه (الاغتراب)، ومصطلح الاغتراب الاقتصادي مرتبط بشكل كبير بالاغتراب الوظيفي وعدم تأقلم العامل في بيئة عمله[1].

6- السياق السياسي: استعمل مصطلح الاغتراب وفق نظرية العقد الاجتماعي، لوصف تخلي مجموعة من الناس عن الحق المطلق لكل فرد في السيادة، وتسليم هذا الحق ونقله إلى رجل من بينهم.

وتبدو مظاهر وتجليات الاغتراب السياسي في العجز السياسي الذي يشير إلى أن الفرد المغترب ليست لديه القدرة على أن يُصْدِرَ قراراتٍ مؤثرة في الجانب السياسي، كما يفتقد إلى المعايير والقواعد المنظمة للسلوك السياسي[2].

ورغم تعدد الأطُر والاستعمالات لمفهوم الاغتراب، إلا أن معنى الاغتراب لا يتغير بشكل جذري وإنما يتغير بتغير سياق ومجال استعماله فقط، فالاغتراب يعني الانفصال إما عن الذات، أو المجتمع، أو الدولة، أو العمل وكذلك عن الله، أو وضع وساطة بين العبد وربه أو الدين. وربما يختلف معناه فيكون هو التدين نفسه كما عند فويرباخ.

وهكذا تتعدد معاني الاغتراب حسب مجال الاستعمال، والواجب عدم نقل المعنى من مجال ليستعمل في مجال آخر؛ لئلا تختلط المفاهيم.

---

[1] يُنظر: العتيبي: طارق بن موسى، **الاغتراب**، (الرياض: دار الكتاب الجامعي، ط1، 2018م).

[2] خليفة، عبد اللطيف، **دراسات في سيكولوجية الاغتراب** (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، 2003) ص97.

المصطلحات ذات الصلة:

1- الغربة

إن لفظة غربة في دلالتها المعتادة المتداولة تعني تبدل المكان، أو تغير المحيط، وهي تختلف عن لفظة اغتراب، والتي تعني الانفصال عن شيء ما والابتعاد والعزلة عنه، كاغتراب الذات، واغتراب العمل[1].

إلا أن ريتشارد شاخت يذكر في كتابه (الاغتراب) أنه جرى استخدام اصطلاح الغربة Entfremdung في اللغة الألمانية، بمعنى التغريب أو السطو أو السلب أو الأخذ[2].

أي إنه في بعض الكتب والفلسفات الألمانية لم يتم التفريق بين كلمة غربة واغتراب، ولكن مع مرور الوقت شاع استخدام لفظة اغتراب كتعبير عن ظاهرة اجتماعية.

ويذكر الكاتب علي محمد اليوسف أن اللفظتين (غربة واغتراب) في اللغة العربية تنتسبان إلى مصدر اشتقاقي لغوي واحد من الفعل غرب، اغترب، اغتراباً، ويتداخل تداول اللفظتين (غربة واغتراب) بين أوساط الأدباء والمثقفين[3]

أي إنه لم يتم التفريق بين مصطلح الغربة والاغتراب سواء في الفكر الغربي، أو الفكر العربي.

---

[1] اليوسف، علي محمد، **فلسفة الاغتراب** (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2013) ص9.

[2] شاخت، **الاغتراب**، 20.

[3] اليوسف، **الاغتراب**، 10.

2- الاستلاب:

وهو لغة: استلبَ يستلب، استلابًا، فهو مُستلِب، والمفعول مُستلَب، واستلبَ الشَّيء، أي انتزعه قهرًا، أو استلب حَقَّه [1].

الاستلاب اصطلاحاً:

يُعتبر لفظ الاستلاب من حيث الأصل مقابل للفظ الأجنبي (ALIENATION) الذي يرجع إلى اللفظ اللاتيني (ALIENATIO). أي إنه مرادف لمصطلح الاغتراب.

إلا أن لفظ الاستلاب أكثر استعمالاً وتداولاً في الخطاب العربي المعاصر، ويُستعمل بشكل خاص من قبل الاتجاه الناقد لتقليد الغرب، وذلك للدلالة على حالة التبعية الثقافية ونقدها.

وقد ذكر الباحث الطيب بوعزة في مقاله حول دلالة مفهوم الاستلاب، محاولة الفلاسفة الغربيين التخلص من التعدد الدلالي لمفهوم الاستلاب، لمعالجة التباسه وميوعته إلا أنه مثقل بالمعاني والدلالات[2].

وبالنسبة للباحث بوعزة فإن الوعي العربي الإسلامي مُهتم بشكل خاص بكيفية التخلص من الاستلاب ذاته كتبيعة حضارية، حيث إن العلاقة الاستلابية لم تطرح في الفكر الفلسفي الغربي كعلاقة مع الآخر المغاير حضارياً، بينما استعمل المفهوم في المجال العربي والإسلامي للدلالة

---

[1] عمر، **معجم اللغة العربية المعاصر**، ج1، 1089.

[2] بو عزة، الطيب – مقال **في دلالة مفهوم الاستلاب**، الجزيرة نت. https://ln.run/iwpQc.

على الانسلاخ من الذاتية الثقافية، والتبعية للآخر كحضارة أو ثقافة. ويمكن القول: إن دلالته غير ملتبسة في المجال التداولي العربي، إلا أن هناك غموضا حول آليات التخلص من الاستلاب.

وترى الباحثة أن لفظ استلاب هو لفظ مُغاير بشكل نسبي للفظ الاغتراب، فالمعروف أن الاغتراب هو انفصال، ولكن الاستلاب هو أخذ شيء ما، وبالتالي لا يمكن أن نقول استلاب الذات مثلاً، لأن الانفصال عن الذات يكون جراء حدث عايشه الفرد وقرر بوعيه أن ينفصل عن ذاته.

ولذلك اخترت لفظ الاغتراب لهذا البحث؛ لأنني وجدته أقرب إلى المعنى الذي أريد التحدث عنه، فعندما نقول: الاستلاب الديني، سيخيل في ذهن القارئ فعل الأخذ أو الحرمان، ولكن ما أريد التحدث عنه في هذا البحث، هو الاغتراب الديني من وجهة نظر فويرباخ، والذي هو اغتراب الذات عن صفاتها العليا، ووضعها في كينونة مغايرة له، فالإيمان والتدين هما سبب الاغتراب عند فويرباخ.

وأعتقد أن مفهوم الاستلاب يمكن أن يستعمل فقط في المجال القانوني، أو الفكري كما ذكر الباحث الطيب بوعزة، كاعتبار أن الهوية العربية مستلبة في ظل سيطرة الفكر الغربي وهيمنة ثقافة الغرب.

3- التَّخَارُج:

تَخارَجَ: (فعل) تخارجَ يتخارج، تخارجا، فهو متخارِج. تَخارَجَ القوم: أخرَجَ كل واحد منهم نفقة على قدر نفقة صَاحبه. تَخارَجَ الشركاءُ: خَرَجَ كلٌّ واحد من شركته عن ملكه إلى صَاحِبِه بالبَيع[1].

التخارج اصطلاحاً: استخدم (فيشته)[2] اصطلاح التخارج المقابل لـ Entausserung باللغة الألمانية في كتابه علم المعرفة بمعنى التسليم أو تجرد الذات. ويعتبر فيشته أن هذا التخارج هو انفصال أو اغتراب الروح عن ناتجها أو الشيء المنتمي إليها[3]. وقد استخدم هيجل من بعده مصطلح التخارج، لذات المعنى.

فبالنسبة لهيجل فإن خروج الفكرة من الروح يفقدها كمالها، وبالتالي تصبح غريبة عن الفكرة المطلقة الأساسية التي انطلقت منها، فيتولد الاغتراب[4].

وقد استعمل هيجل مصطلح "التخارج" وكذلك مصطلح "الاغتراب" للتعبير عن حالة خروج الفكرة من الروح والذي يعتبر بحد ذاته انفصال واغتراب، وبالتالي يمكن اعتبار التخارج هو نفسه الاغتراب.

---

[1] نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، (القاهرة: مجمع اللغة العربية، ط2، 1972م) ص224

[2] هو فيلسوف مثالي ألماني، ولد سنة 1762، وامتاز بجمعه بين النزعة النظرية الفكرية وبين النشاط العملي في الحياة، أهم مؤلفاته: أساس مذهب العلم، ومحاولة نقد كل وحي، وعلم المعرفة. انظر: **الموسوعة الفلسفية لعبد الرحمن بدوي**، ص128

[3] شاخت، **الاغتراب**، 77.

[4] شاخت، **الاغتراب**، 49.

4- النقد:

من مادة (ن ق د) ترجع معانيها إلى "إبراز شيء وبروزه"[1]، ومنه: نقد الدرهم، أي: الكشف عن الجيد منها والسقيم[2]، وناقده، أي: ناقشه في الأمر. وفيه حديث أبي الدرداء أنه قال (إن نقدت الناس نقدوك، وإن تركتهم تركوك) معنى نقدتهم، أي عبتهم واغتبتهم، قابلوك بمثله[3].

فقد ساد استخدام النقد لبيان السيئ من الكلام، ومراجعة القائل في قوله.

النقد اصطلاحاً:

ورد في معجم المصطلحات العربية "النقد في حقيقته تعبيرٌ عن موقفٍ كليّ متكامل في النظرة إلى الفن عامَّةً، أو إلى الشِّعر خاصَّةً، يبدأ بالتذوُّق؛ أي: القدرة على التمييز، وَيعْبرُ منها إلى التفسير والتعليل والتحليل والتقييم، خطوات لا تُغنِي إحداها عن الأخرى، وهي متدرجةٌ على هذا النسق؛ كي يتَّخذَ الموقف نهجًا واضحًا، مؤصلاً على قواعد – جزئيَّة أو عامَّة – مؤيدًا بقوَّة المَلَكَة بعد قوَّة التمييز"[(4)].

فما علاقة مصطلح النقد بمصطلح الاغتراب الديني؟ لقد اعتبر فويرباخ أن الدين هو سبب اغتراب الفرد عن ذاته، فنتج عن ذلك أن قام فويرباخ بنقد الدين المسيحي باعتباره سبباً في اغتراب الذات الإنسانية. لذلك يمكننا القول بأن نقد الدين عند فويرباخ هو نتاج الاغتراب الديني.

---

[1] يُنظر: الرازي: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دمشق: دار الفكر، ط1، 1979م) (5\467)

[2] المرجع السابق.

[3] يُنظر: عبد الرزاق: مرتضى الحسيني "محمد بن محمد"، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المؤلفين، (الكويت: دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، 1965م) (9\235).

[(4)] يُنظر: عباس: إحسان، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، (بيروت: دار الثقافة، ط4، 1983م)، ص5.

وبشكل معاكس يمكننا أيضاً أن نعتبر أن الاغتراب هو نتاج النقد الديني، ففي كثير من الأحيان قد يبدأ الفيلسوف أو المفكر بنقد الدين في شرائعه أو عقائده، ومن ثم ينتهي بإلحاده أو اغترابه عن الدين والخروج عنه، كما في حالة كارل ماركس، ونيتشه.

ولكن في هذه الحالة يمكننا وصف إلحاد الفيلسوف بالاغتراب، من وجهة نظر الفكر المسيحي، الذي اعتبر بأن الخطيئة اغتراب، والبعد عن الله اغتراب، ولكن من وجهة نظر فويرباخ، فإن إلحاد الفرد وعدم إيمانه بإله، هو حل للاغتراب، وهي حالة إيجابية يجد فيها الفرد ذاته التي كانت مغتربة في الدين.

في نهاية هذا المطلب، نستنتج أن مصطلحات (الغربة، الاستلاب، التخارج) هي مصطلحات مرادفة لمصطلح الاغتراب، والتنوع في المصطلحات يدل على أن كل فيلسوف من الفلاسفة الذين درسوا الاغتراب، رأى الاغتراب من وجهة نظر معينة، وعبر عنه بأسلوب مختلف عن الآخرين، ولكن في النهاية جميعهم أرادوا المقصد نفسه وهو فهم الاغتراب لإلغائه وقهره.

المطلب الثاني: نشأة الاغتراب وسياقاته التاريخية

تعتبر ظاهرة الاغتراب من أهم الظواهر في العالم الحديث، وقد تبلورت على مدى سنوات عديدة، واتخذت مظاهر تختلف في شدتها بين الماضي والحاضر، بين ما كتبه فلاسفة الإغريق، وبين ما كتبه فلاسفة القرن التاسع عشر.

فقد ورد مصطلح الاغتراب في مؤلفات الكثير من المفكرين والباحثين، الذين قاموا بعرض المصطلح من خلال تحليل وتفسير الظواهر والمشكلات، مثل الفجوة بين الأجيال، أو الإيمان والإلحاد، والوجود الأصيل والزائف، وكذلك من خلال نقد النظم السياسية والاقتصادية.

وبعد أن قمنا بشرح مصطلح الاغتراب في المبحث الأول، سنقوم في هذا المبحث بتتبع المسار الذي سلكه مصطلح الاغتراب حتى وصل إلى ما وصل إليه الآن من شيوع وانتشار في حياتنا الثقافية المعاصرة.

وسنقوم في هذا المبحث بتعريف الاغتراب حسب سياقه وتياره الفكري، حيث يصعب علينا فهم مصطلح الاغتراب بمعزل عن المشكلات الإنسانية والظروف التاريخية التي مرت بعصور من استعمله من المفكرين والفلاسفة.

اتفق الباحثون على أن هيجل[1] هو أول من استخدم مصطلح الاغتراب استخداماً منهجياً مقصوداً ومفصلاً، وسمي بذلك أبو الاغتراب[2]. إلا أننا لا يمكن أن نعتبر هيجل درس الاغتراب

---

[1] فيلسوف ألماني، ولد عام 1770 وتوفي عام 1831، يعتبر هيجل من أهم رواد الفلسفة المثالية الألمانية، وأهم محاور فلسفته تدور حول المنهج الجدلي الذي يقوم على الفكرة ونقيضها ثم المركب. يُنظر: **موسوعة الفلسفة**، عبد الرحمن بدوي، 570-595.

[2] يُنظر: شاخت، **الاغتراب**، 69.

من فراغ، وإنما تأثر بمن سبقه من الفلاسفة الذي تحدثوا عن الاغتراب في مؤلفاتهم ولو بشكل عشوائي وغير ممنهج، وكذلك لا يمكننا إغفال الفلاسفة الذين تأثروا بفلسفة هيجل الاغترابية وطوروا منها بحسب نظرياتهم[1].

لهذا قسمت معظم الدراسات المسار التاريخي لمصطلح الاغتراب على النحو الآتي:

1- مرحلة ما قبل هيجل:

جاء ذكر مصطلح الاغتراب في مرحلة ما قبل هيجل، في عدة سياقات مختلفة وهي كالآتي:

- السياق القانوني: يأتي الاغتراب بمعنى نقل الملكية، وقد ورد مصطلح الاغتراب في اللغة الانجليزية المنتمية إلى العصور الوسطى على فعل يفيد قيام شخص ما بتغريب شيء يمتلكه كالأراضي أو كالمنازل، ولا يزال لفظا الاغتراب ويُغَرّب، يحملان هذا المعنى اليوم على نحو ما تشهد به المعاجم[2].
- السياق الديني: ونجده في الكتابات اللاهوتية الأولى، عند بولس الرسول، وجان كالفن، ومارتن لوثر.

---

[1] رجب، محمود، **الاغتراب سيرة مصطلح** (القاهرة: دار المعارف، ط3، 1988) ص9.

[2] شاخت، **الاغتراب**، 64

بحث الكاتب ريتشارد شاخت في الترجمات اللاتينية القديمة للإنجيل عن مصطلح الاغتراب، فوجدها في رسالة بولس الرسول[1] (5م \64م) إلى أهل أفسس يقول: "إنهم مظلمون في جهلهم، مغتربون عن حياة الله بسبب الجهل الذي فيهم، وبسبب قساوة قلوبهم". وبالرجوع إلى الترجمة العربية للكتاب المقدس نجد أن هذه الآية ترد كما يأتي: "إِذْ هُمْ مُظْلِمُو الْفِكْرِ، وَمُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ اللهِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ بِسَبَبِ غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ "[2].

ويرى شاخت أن معنى مغتربون عن Alienated of كما ترد في سياق هذا النص إنما تفيد الانفصال أو الابتعاد عن حياة الله.

وشرح القمص أنطونيوس فكري في تفسيره للكتاب المقدس، معنى مظلمو الفكر تأتي في مقابل "مستنيرة عيون أذهانكم" (أف 18:1) والظلمة هي ظلمة الخطيئة، فكل ما يأتي من الله ينير الفكر والقلب، والابتعاد عن الله يطمس معالم العقل. وبالتالي كلما تزداد الخطيئة يظلم الفكر ويعجز عن الاقتراب إلى الله فيتجنب الله ويرتاح في الظلام[3].

وفسر معنى متجنبون عن حياة الله، أي هم تجنبوا الله، يعيشون غرباء عن الحياة الروحية[4].

---

[1] كان اسمه الأصلي بالعبرانية شاول أو ساؤل ومعناه اللغوي (المطلوب من الله) أما بولس فكان اسمه الرومي ومعناه قصير القامة. وهو أحد قادة الجيل المسيحي الأول وينظر إليه البعض على أنه ثاني أهم شخصية في تاريخ المسيحية بعد يسوع.

[2] العهد الجديد: رسالة إلى أهل أفسس، الإصحاح 4، الفقرة 18.

[3] شرح الكتاب المقدس - العهد الجديد - القمص أنطونيوس فكري https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-02-New-Testament/Father-Antonious-Fekry/10-Resalet-Afasos/Tafseer-Resalat-Afacoc__01-Chapter-04.html#18

[4] شرح الكتاب المقدس - العهد الجديد - القمص أنطونيوس فكري https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-02-New-Testament/Father-Antonious-Fekry/10-Resalet-Afasos/Tafseer-Resalat-Afacoc__01-Chapter-04.html#18

وواضح أن الترجمة العربية لهذا النص تؤدي نفس معنى عبارة مغتربون عن حياة الله، فالابتعاد عن الله يطمس معالم العقل ويسبب الجهل، ومع كثرة الخطايا والذنوب، يغلظ القلب تجاه تعاليم الإله. الأمر الذي يؤدي إلى الاغتراب عن الله وعن الدين.

وقد تبلور مفهوم الاغتراب الديني بروح احتجاج ونقد الإنسان للاهوت، دفاعاً عن الإيمان، ونرى ذلك من خلال ترجمة مارتن لوثر[1](1483–1546 م) للنص السابق بأن الجهل هو أساس الاغتراب، ويتمثل الجهل بالنسبة له بممارسات الكنيسة المنحرفة، كاعتبار الخطيئة متوارثة، وللتخلص منها يجب على المؤمن شراء صكوك الغفران من القسيس باعتبار أنه وسيط بين العبد والله، ويعتبر مارتن لوثر أن مثل هذه الممارسات سبب في الاغتراب الديني [2].

وكذلك يُفسر جان كالفن[3] (1509 –1564م) الاغتراب عن دين الله بسبب تلوث القلوب، وتدنيس الأعمال الصالحة بتنفيذها على نحو رديء، ويذكر كذلك ما كتبه بولس أيضاً، أن الأمم ما داموا منغمسين في وثنيتهم، هم غرباء عن عهود الموعد [4].

فاعتبر كالفن أن غير المسيحي هو غريب عن العهد ولا يجوز أن توضع عليه علامة المعمودية ما لم يكن آمن أولاً وتاب. وكذلك أشار كالفن في شرح الآيتين في رسالة بولس إلى أهل أفسس، حيث يقول:" وَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، الَّتِي سَلَكْتُمْ فِيهَا قَبْلًا حَسَبَ دَهْرِ

---

[1] مصلح ديني ألماني ومؤسس البروتستانتية، ولد عام 1483 وتوفي عام 1546م. قام بترجمة الكتاب المقدس، ورفض صكوك الغفران، ونادى بحرية الايمان الشخصي. يُنظر: طرابيشي، جورج، **معجم الفلاسفة**، ص 587 و589.

[2] عبد الجبار، فالح، **الاستلاب هوبز، لوك، روسو، هيغل، فيورباخ، ماركس** (بيروت: دار الفارابي، ط1، 2018) ص21.

[3]مصلح مسيحي فرنسي، أهم مؤلفاته كتاب تأسيس الديانة المسيحية عرض فيه فكره الإصلاحي، وحرر كذلك إحياء النصرانية داعياً إلى العودة إلى المسيحية الأولى ومنتقداً الكنيسة الكاثوليكية والإصلاحيين البروتستانتيين في آن معاً. يُنظر: **معجم الفلاسفة**، جورج طرابيشي، 507-509.

[4] كالفن، جون، **أسس الدين المسيحي** (لبنان، دار منهل الحياة، م1، ط1، 2017) ص411

هذَا الْعَالَمِ، حَسَبَ رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ" ويعلق بالقول "إن الموت الروحي لا يعني شيئاً آخر سوى اغتراب الروح عن الله"[1].

- السياق السياسي: استعمل فلاسفة نظرية العقد الاجتماعي[2] مصطلح الاغتراب بمعناه السياسي في عدة مواضع، للتعبير عن تخلي الأفراد عن حقهم في السيادة بشكل طوعي، من أجل مصلحتهم وضمان أمنهم.

ويعتبر **هوغو غروتيوس[3] (1583–1645)** أول من استخدم مصطلح الاغتراب بمعناه السياسي من خلال كتابه قانون الحرب والسلام الذي صدر عام 1625م، حيث استخدم اللفظ اللاتيني alienatio بمعنى غرب، فيقول: "كما أنه بالوسع تغريب الأشياء الأخرى بمعنى نقل ملكيتها لشخص آخر فكذلك يمكن نقل السلطة السيادية"[4].

ويشير إلى أن السلطة السياسية توجد حينما تتخلى مجموعة من الناس عن الحق المطلق لكل فرد من أعضائها في تقرير مسلكه وتقوم بنقل السلطة السيادية من هؤلاء الأفراد إلى رجل من بينهم.

---

[1] كالفن، جون، **أسس الدين المسيحي** (لبنان، دار منهل الحياة، م2، ط1، 2017) ص591

[2] اتفاق بين أفراد المجتمع يوجب على كل منهم وهو في الحالة الطبيعية أن يعهد في شخصه وفي كل ما لديه من قدرات إلى الإرادة العامة التي تنتظم بها حياة الكل، ويعتبر توماس هوبس وجون لوك وجان جاك روسو أبرز مؤسسي هذه النظرية. انظر **معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية**، جلال الدين سعيد، صفحة 289.

[3] هو قاض من جمهورية هولندا. أسس القانون الدولي اعتمادًا على الحق الطبيعي. كما كان فيلسوف وعالم إلهيات ولاهوت دفاعي وكاتب مسرحي ومؤرخ وشاعر. كان له أثر بالغ على القانون الدولي. المصدر: ويكيبيديا.

[4] شاخت، **الاغتراب**، 60

ونُلاحظ هنا أن هوغو شدد على التماثل الجوهري بين التنازل عن الأشياء ونقل ملكيتها إلى آخر والتنازل عن السيادة ونقلها إلى آخر مثل حاكم الدولة[1].

ولم يستخدم **توماس هوبز**[2] **(1588- 1679م)** مفهوم الاغتراب مباشرة بل استخدم تعابير لغوية أخرى مثل: divest, renounce أي نبذ، وتنازل، كما يستخدم تعبير transfer the right أي نقل الحق[3].

وهذا الانفصال أو التخلي عن حق حماية الملكية، وحماية الحياة، وإسنادهما إلى عاهل فرداً كان أو هيئة إنما يجري مقابل عهد covenant من العاهل بحماية هذه الحقوق.

وشأن هوبز استخدم جون لوك تعابير مثل resigning, quitting up بمعنى ترك، تخل أو نبذ، عوضاً عن مصطلح الاغتراب.

وبحسب **جون لوك**[4] **(1632-1704م)** فإن الإنسان في حالته الطبيعية يتمتع بالحرية وحق الملكية، وهو غير منفصل عنهما، ولا يتم الانفصال إلا بظهور الدولة، أي نشوء الحالة المدنية. وهذا الأمر يحدث عندما يتنازل الفرد عن حقه الطبيعي في الدفاع عن الملكية، والحياة، ناقلين هذا الحق إلى ممثل المجتمع. ويعتبر جون لوك أن هذا التنازل "اغتراباً إيجابياً"، إلا في

---

[1] شاخت، **الاغتراب**، 71

[2] هو فيلسوف إنجليزي، اشتهر بكتابه اللفياثان، وساهم في بلورة كثير من الأطروحات السياسية، وتقنين سلطة الدولة والعاهل، أسس فلسفته على أساس مادي، حسي، وأنثروبولوجي. انظر: **معجم الفلاسفة**، جورج طرابيشي، ط3، 2006، 709.

[3] عبد الجبار، فالح، الاستلاب هوبز، لوك، روسو، هيغل، فيورباخ، ماركس (بيروت: دار الفارابي، ط1، 2018) ص31.

[4] هو فيلسوف انجليزي، اهتم بالشؤون السياسية والاقتصادية لبلاده، عاش متخفياً من الحكومة الإنجليزية التي طالبت بطرده، بسبب أفكاره الثورية، وقد منح العفو في وقت لاحق، اشتهر بكتابيه محاولة في الفهم البشري، ورسائل حول التسامح. انظر: **معجم الفلاسفة**، جورج طرابيشي، 599.

حالة اخلال العاهل بالتعاقد، فيصبح للمجتمع الحق بالثورة وإلغاء تنازلهم حتى لا يصبح "اغتراباً سلبياً"[1].

وقد استعمل **جان جاك روسو**[2] **(1712–1778م)** مفهوم الاغتراب الطوعي، بمعنى التخلي عن السيادة لمصلحة الجماعة، وهي معمدة باسم الإرادة العامة أو سيادة الشعب. ويتحدث كذلك عن الاغتراب القسري وهو عند روسو يعني الاستبداد والعبودية، ونقض العهد من جهة الحاكم[3].

إذاً فإن بروز فكرة التخلي أو التنازل، بمعنى الاغتراب السياسي، عند فلاسفة العقد الاجتماعي، تنطوي جميعها تحت فكرة التخلي عن حق السيادة وإسنادها لحاكم أو عاهل لحفظ الأمن والسلام في المجتمع، وهي حالة إيجابية في حال عدم إخلال العاهل بالعهد، وحالة سلبية في حال الاستبداد والظلم من قبل الحاكم.

- **سياق المثالية الألمانية**

بعد ازدياد التناقضات الاجتماعية في أوروبا، أصبح النظام الاجتماعي يقوم على التبعية والظلم، وإزاء هذا الواقع التاريخي الممزق لجأ فلاسفة المثالية الألمانية[4] إلى العقل، لحل مسألة الاغتراب.

---

[1] عبد الجبار، **الاستلاب**، 36

[2] هو فيلسوف فرنسي، عاش طفولة صعبة ومشردة، اشتهر بكتابه خطاب في أصل التفاوت بين البشر، هاجم فيه المراتب الاجتماعية، وكان هدفه التنديد بظلم المجتمع.

[3] عبد الجبار، **الاستلاب**، 51.

[4] معناها في اليونانية (الصورة أو المفهوم) اتجاه فلسفي يتعارض بشكل قاطع مع المادية، والمثالية تبدأ من المبدأ القائل بأن الروحي أي اللا مادي أولى، وأن المادي ثانوي؛ وهو ما يجعلها أقرب إلى الأفكار الدينية حول تناهي العالم في الزمان والمكان وحول خلق الله

فقد تحدث **فريدريش شيلر**[1] **(1759-1805م)** عن الإنسان الحديث الذي يعاني الغربة والانفصال في ظل ظروف لا إنسانية، تلك الظروف التي تضخمت بفعل الثورة الصناعية، ويصف شيلر الإنسان الحديث بالإنسان الممزق وقد انفصلت لديه المتعة عن العمل، والوسيلة عن الغاية، والجهد عن العائد، وفقد هذا الإنسان روح الانسجام في حياته[2].

فالاغتراب عند شيلر ارتبط بالتقنية وفقدان الإنسان السيطرة في عصر التكنولوجيا والتقدم، وأصبحت المنتجات التي صنعها الإنسان بنفسه، لها قيمة أكبر وأعظم من الإنسان ذاته.

وكذلك استخدم **يوهان غوتليب فيشته**[3] **(1762-1814م)** اصطلاح التخارج Entausserung في كتابه علم المعرفة بمعنى تجرد الذات.

فإن التخارج بالنسبة لفيشته هو كل إبداع طرحته الروح في العالم الخارجي، فينظر فيشته للعالم الظاهر باعتباره نتاجاً للإبداع الروحي، وهذا النتاج قد حصل عبر عملية التخارج، أي أن العالم الروحي (الأنا أو العقل) يقوم باستخراج العالم الموضوعي (المادي الظاهر) من ذاته ليجعله متخارجاً عنه. ويعتبر فيشته أن هذا التخارج هو انفصال أو اغتراب الروح عن ناتجها أو الشيء المنتمي إليها[4].

له، وتنظر المثالية إلى الوعي منعزلاً عن الطبيعة، ونتيجة لهذا فإنها حتماً تضلل الوعي الإنساني والعملية المعرفية. يُنظر: **الموسوعة الفلسفية**، لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، 453.

[1] هو شاعر ومسرحي كلاسيكي وفيلسوف ومؤرخ ألماني، يُعتبر هو وغوته مؤسسا الحركة الكلاسيكية في الأدب الألماني، ويُعتبر من الشخصيات الرئيسية في التاريخ الأدبي الألماني. المصدر: ويكيبيديا

[2] حماد، حسن، **الإنسان المغترب عند إريك فروم** (القاهرة: مكتبة دار الكلمة، ط1، 2005) ص75.

[3] هو فيلسوف ألماني، أبدى منذ طفولته عن إحساس ديني عميق وميل شديد إلى التفكير والتأمل، دافع عن حرية الفكر وحرية الصحافة والثورة الفرنسية، اكتسب شهرة بسبب أفكاره الجريئة، إلا أن اللاهوتيين لم يغفروا له تصوراته العقلانية في مجال الدين، إلا أنه تحول عن نزعته العقلانية الحضورية إلى روحانية متعالية وتأليهية. يُنظر: **معجم الفلاسفة**، جورج طرابيشي.، 482

[4] شاخت، **الاغتراب**، ص70.

أما بالنسبة **فريدريك شلينغ**[1] **(1775–1854م)** فقد تحدث عن الهوية أو التطابق بين العالم الخارجي والذات، ولقد سمى شلينغ هذه الهوية بالروح المطلق، وقد توصل شيلنغ إلى نتائج مشابهة لما وصل إليه شيلر في ملاحظاته حول انفصال الإنسان عن الطبيعة، أو ما يمكن تسميته بتموضع الذات objectivation of the self خارج عالمها ومجالها الكلي لتصير موجوداً خارجياً معبراً عن ذاته. وقد طور هيجل هذه الفكرة في طرحه لقضية الاغتراب خاصة في كتابه ظاهريات الروح[2].

إذاً نلاحظ أنه في مرحلة ما قبل هيجل، انحصر استخدام مصطلح الاغتراب في أربع سياقات مختلفة، أولها السياق القانوني، الذي يعبر عن نزع الملكية من شخص ما واعطائها لشخص آخر، ثانيها السياق الديني تحديداً في الكتابات اللاهوتية الأولى ومعناها الخطيئة والبعد عن الله، وثالثها السياق السياسي والذي يتمحور حول نظرية العقد الاجتماعي، واعتبار فلاسفتها أنه عندما يُرشح حاكم يدير شؤون المجتمع والدولة فبذلك يغترب المجتمع عن سلطته وسيادته على نفسه، من أجل هدف أسمى وهو تحقيق السلام والوئام بين أفراد المجتمع.

وأخيراً سياق المثالية الألمانية وممكن أن نسميها بالسياق العقلاني، الذي أراد حل مشكلة الاغتراب عن طريق العقل، وقد مهد كل من شلينغ، شيللر، وفشته الطريق أمام هيجل للحديث عن الاغتراب بشكل مفصل ومنهجي أكثر.

---

[1] فيلسوف ألماني، تحدر من أسرة بروتستانتية، تأثر بالمثالية الكانطية، ثم اتجه أكثر نحو مباحث الفيزياء والكيمياء والعلوم الطبيعية، انصب جهد الرئيسي على اثبات واقعية العالم الخارجي، دون فصله عن الروح، يُنظر: **معجم الفلاسفة**، جورج طرابيشي، ص399.

[2] شاخت، **الاغتراب**، 79

2- المرحلة الهيجلية

يعتبر **هيجل (1770—1831)** أول مفكر استخدم مصطلح الاغتراب في مؤلفاته، على نحو منهجي ومفصل، وقد تحول الاغتراب على يديه من مجرد إشكال يعاني منه الإنسان في قلق وتوتر، إلى مصطلح فني ومفهوم دقيق[1].

ويعد طرح هيجل لمفهوم الاغتراب من أهم الأطروحات الحلولية العلمانية. فالاغتراب عنده هو انفصال الجزء عن الكل، ويحدث هذا عندما يقوم العقل المطلق (الفكرة المطلقة – الإله) بخلق الطبيعة والإنسان، فهو بذلك قد طرح جزءاً منه خارجه وأصبح هذ الجزء غريباً عنه[2].

ويعتقد هيجل أن الإله "العقل المطلق" بحاجة إلى الإنسان لإنهاء حالة الاغتراب، فبواسطة الإنسان يستعيد الإله سيطرته على الطبيعة من خلال فهمه لها وسيطرته عليها وتوحده بها[3].

هذا يعني أن الفكر الإنساني وجميع الخبرات البشرية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكذلك الدينية، هي محاولات للوصول إلى وحدة المطلق وإنهاء حالة الاغتراب. ولذلك اكتسب مفهوم الاغتراب عند هيجل طابعاً منهجياً ومفصلاً، لأنه قام بتطبيق مفهوم الاغتراب في مختلف السياقات والدلالات.

فتحدث عن الاغتراب الديني، الاجتماعي والسياسي في جميع كتبه ومؤلفاته، وبالأخص كتابه "ظاهريات الروح".

---

[1] يُنظر: شاخت، **الاغتراب**، 69.

[2] المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية** (القاهرة: دار الشروق، م1، ط1، 1999) ص265.

[3] المرجع السابق.

3- مرحلة ما بعد هيجل

شاع استخدام مفهوم الاغتراب بعد أن استخدمه هيجل بشكل منهجي وواضح في فلسفته، ونجد أبزر هذه الاستخدامات عند كل من فويرباخ ومقالته حول الاغتراب الديني.

إلا أن فويرباخ قد رفض وحدة الوجود التي طرحها هيجل، وطرح بدلاً منها وحدة وجود مادية، فأنكر أن يكون الإنسان إلهاً مغترباً عن ذاته، والعكس هو الصحيح، فالإنسان خلق الإله وأسقط عليه جوهره الإنساني ثم خرّ له ساجداً وكأن الإله هو الذي خلقه. ولذا لكي يتجاوز الإنسان غربته، عليه أن يُسقط فكرة الإله ويكتشف جوهره الإنساني[1]. وهذا هو موضوع بحثنا الذي سوف نفصل فيه في المباحث القادمة.

ولم ينحصر استخدام مفهوم الاغتراب بعد هيجل عند فويرباخ وحسب، فقد وافق ماركس على موقف فويرباخ وأضاف إليه مفهوم الاغتراب الاقتصادي، فيتحدث فيه عن اغتراب العامل عن ذاته، وعن ناتجه، وعن مجتمعه، وسوف نتحدث في المبحث الأخير عن هذا الاغتراب بشكل مفصل أكثر.

ولقد امتد استخدام مفهوم الاغتراب بعد هيجل، ليتناوله علماء النفس مثل فرويد، أريك فروم، وعالم الاجتماع دوركايم، وكذلك أهم الفلاسفة الوجوديين مثل مارتن هايدغر، وجان بول سارتر، وكذلك بول تيليش.

---

[1] المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، 265.

وبالطبع لا يمكننا حصر استخدام مفهوم الاغتراب بعد هيجل في بضع صفحات مختصرة، ولكننا سنقوم بذكر أهم ما ورد حول مفهوم الاغتراب.

- الاغتراب في الفكر الوجودي[1] :

اعتبر **مارتن هايدغر**[2] **(1889 – 1976)** أن مشاعر القلق هي حالة كشف لفراغ الحياة، وهي اللحظات التي تكشف عدمية الحياة داخل الإنسان، وبذلك يجد الإنسان نفسه مخيراً بين شكلين متعارضين للوجود[3].

- الوجود الأصيل: وهو معايشة القلق، بهدف تأكيد ذات الإنسان وتفرده، ورغم أن القلق سيكشف للإنسان عدمية الحياة، فإن الإنسان يستمر في منح الحياة معنى خاصاً، وبذلك يؤكد الإنسان ذاته وتفرده، وهذه الصفة من صفات الوجود الأصيل[4].

- الوجود الزائف: وهو الوجود المستغرق في الحاضر الذي تقرره التوقعات والمواثيق الاجتماعية، وفي تلك الحالة يكون القلق سببا في عدم وصول الإنسان للوجود الأصيل، وبذلك يغترب الإنسان عن نفسه، محاولاً إرضاء الآخرين، والانشغال في التخطيط للمستقبل والعمل[5].

---

[1] الوجودية مذهب أو اتجاه فكري يقوم على مبدأ أساسي هو أن وجود الإنسان هو ما يفعله، فأفعال الإنسان هي التي تحدد وجوده وتكونه، ولهذا يقاس الإنسان بأفعاله، وذلك ضد مذهب القائلين بالماهية، أي الذين يفترضون ماهية سابقة على وجود الإنسان وعنها تنشأ أفعاله، ووفقاً لها يحكم عليه، وبها يحدد. يُنظر: **دراسات في الفلسفة الوجودية**، عبد الرحمن بدوي، 1980.

[2] هو من أشهر الفلاسفة الألمان في القرن العشرين، أسس فلسفته على التمييز بي الوجود والموجود، والفارق الأنطولوجي، اشتهر بكتابه الوجود والزمان، الذي يحاول فيه الإجابة عن سؤال "ما الوجود؟". انظر **معجم الفلاسفة**، جورج طرابيشي، 694.

[3] مباركية، رشا، **الاغتراب في الفكر الوجودي جان بول سارتر نموذجاً**، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة العربي التبسي، 56.

[4] المرجع السابق.

[5] المرجع السابق.

وبذلك فإن هايدغر يعتبر الإنسان مغترباً عن وجوده الأصيل، إذا انغمس في الحياة الدنيوية، وفكر في الحاضر فقط، واتبع رغبات الناس من حوله، فجعل القلق يتحكم به ويغربه عن وجوده الأصيل.

خلاصة الأمر أن الإنسان بالنسبة لهايدغر مقذوف إلى عالم لم يصنعه بنفسه، ولذلك فهو في حاجة دائمة إلى إثبات ذاته، للوصول إلى الوجود الأصيل وتحقيق نفسه.

أما بالنسبة **لجان بول سارتر**[1] **(1905 – 1980)** اعتبر أن الجسد هو بؤرة الاغتراب، فغالباً ما ترتكز نظرة الآخر على الجسد، والجسد بالنسبة لسارتر يختلف عما يعيشه الإنسان ذاته، وعما يعرفه الآخرون ويظهر لهم، فإذا رأى الإنسان جسده وعايشه كما يراه الآخرون سيصبح شيئاً غريباً عنه.

يقول سارتر: فجسدي حين أعايشه كشيء يعرفه الآخر هو شيء غريب بالنسبة لي، لأنه يختلف إلى حد كبير عن ما أعايشه بصورة ذاتية[2].

أما بالنسبة **لبول تيليش**[3] **(1886–1965)**، فإن فلسفته تعبر عن الوجودية المؤمنة والدينية[4]، تحدث تيليش عن جوهر الإنسان وما ينبغي أن يكون عليه، ويعتبر أن مشكلة الغربة

---

[1] هو كاتب وفيلسوف فرنسي، اشتهر بكتابيه، الوجود والعدم، والوجودية مذهب إنساني، ساند الحزب الشيوعي، وكتب في الأدب النضالي. يُنظر: **معجم الفلاسفة**، جورج طرابيشي، 350.

[2] سارتر، جان بول، **الوجود والعدم**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، (بيروت: منشورات دار الآداب، ط1، 1966). ص 152

[3] لاهوتي ألماني ولد عام 1886 وتوفي عام 1965، كان من أوائل من نقد الاشتراكية القومية النازية، ذهب في فلسفته حول الدين إلى أن أكبر خطر يهدد الدين هو النزوع إلى تحويل مأثوره إلى مطلق. يُنظر: **معجم الفلاسفة**، جورج طرابيشي، ص 240.

[4] يكمن الفرق بين الوجودية المؤمنة والملحدة، هو أن الوجودية المؤمنة تؤمن بأن قلق الإنسان والخوف من العدم يزول بالإيمان بالله تعالى، وأبرز ممثلي الوجودية المؤمنة كيركجارد وبول تيليش، أما بالنسبة للوجودية الملحدة، فمفادها أن الإنسان له مطلق الحرية في

يجب على علم اللاهوت حلها، وينظر تيليش إلى أهمية المسيح من خلال التغلب على الغربة فيقول إن عظمة المسيح تكمن على وجه الدقة في قدرته على قهر الغربة الوجودية[1].

قام تيليش بمعالجة مشكلة القلق بطريقة لاهوتية خاصة، وفي رأيه أن محاولات الحضارة المعاصرة العلمانية، لمواجهة قلق الخواء واللامعنى الذي يهددها جميعها فاشلة، ويعتبر بول تيليش أنه لا سبيل إلى الشجاعة، إلا من خلال الشجاعة الدينية، والإيمان بالعناية الإلهية يقهر قلق المصير والموت، والإيمان بالغفران يقهر القلق الأخلاقي، والإيمان بالرب ذاته –الوجود ذاته– يقهر القلق الروحي [2].

وفي النهاية، يمكننا القول بأن الفلسفة الوجودية تنطلق عادة من موقف يشبه المغترب تماماً، وفوق كل هذا فكلمة الغريب مصطلح يتكرر في كتابات الوجوديين بكثافة[3].

فقد اهتمت الوجودية بالحياة وبالوجود الواقعي والملموس للفرد، ولذلك نجد الوجودي يبحث بشكل مستمر عن حل لإحساسه بالاغتراب، فمنهم من اعتقد بأن الوجود داخل المجتمع هو اغتراب للذات كما فعل مارتن هايدغر، ومنهم من ارجع احساسه بالاغتراب إلى جسده كسارتر، ومنهم من اعتقد بأن العلمانية سبب الاغتراب، وبحسب بول تيليش فإن الرجوع للدين هو الحل الوحيد لقهر الاغتراب.

اختيار ما يريده، مما يترتب عليه قلقه وبأسه، ويمثلها هيدجر وسارتر. يُنظر: **كتاب المذاهب الفلسفية المعاصرة**، غالب عواجي، ط10، 2016.

[1] شاخت، **الاغتراب**، 268.

[2] الخولي، يمنى، **الوجودية الدينية** (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، د.ط، 2017) ص 70.

[3] مساعدية، **نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي**، 35

- **علم النفس (أريك فروم نموذجاً)**

تحدث **اريك فروم** [1] **(1900 – 1980)** عن الاغتراب عن الذات، في كتابه المجتمع السوي حيث عرف عملية الاغتراب بأن "الإنسان لا يُخبر نفسه بوصفه حاملاً نشيطاً لقدراته وثرائه، بل بوصفه شيئاً معدماً معتمداً على القدرات التي هي خارجه، والتي أسقط عليها جوهره الحي"[2].

ويمكننا ملاحظة تأثير فويرباخ على فروم، باعتبار أن الإنسان يُسقط أفضل ما عنده على الإله ثم يُصبح عاجزاً وذليلاً. إلا أن الكائن أو الشيء الذي أسقط الإنسان قدراته عليه، ليس الإله وإنما المجتمع الحديث آلياته وتقنياته الحديثة.

ويقوم فروم بتوسيع نطاق الاغتراب باعتبار أن المجتمع الحديث يكاد يكون مغترباً بشكل كامل، وهو يشمل علاقة الإنسان بعمله، وبالأشياء التي يستهلكها وبالدولة وبأخيه الإنسان وبنفسه، ويواجه الإنسان نفسه بقواه المتجسدة في الأشياء التي خلقها، مغترباً عن نفسه، ويمتلكه خلقه، وقد فقد ملكيته لذاته[3].

وفي النهاية نجد أنه بعد هيجل تم التركيز على معنى واحد، وهو المعنى السلبي لمصطلح الاغتراب مقترناً بكل ما يهدد وجود الإنسان وحريته بالاستئصال أو التزييف، وأصبح الاغتراب وكأنه مرض أصيب به الإنسان الحديث، وعليه التخلص منه.

---

[1] هو عالم نفس وفيلسوف إنساني ألماني أمريكي، ولد عام 1900 وتوفي عام 1980، درس العلوم الاجتماعية والنفسية والفلسفية في جامعة فرانكفورت وهايدلبيرغ، اشتهر بكتابيه المجتمع السوي والخوف من الحرية.

[2] فروم، أريك، **المجتمع السوي**، محمود الهاشمي، (د.م، د.ن، ط1، 2009) ص 235.

[3] فروم، **المجتمع السوي**، 236

المطلب الثالث: مفهوم الاغتراب الديني بين الفكر المسيحي وفلسفة فويرباخ

- **مفهوم الاغتراب الديني في المسيحية:**

ورد لفظ الاغتراب في الترجمات والشروح اللاتينية للكتاب المقدس، خاصة في النصوص التي تتحدث عن فكرة الخطيئة، وكذلك وردت في الكتابات اللاهوتية الأولى، وبخاصة رسالة بولس إلى أهل أفسس، وشروح جان كالفن، ومبادئ البروتستانتية التي صاغها مارتن لوثر في ثورته ضد الوساطة بين العبد وربه.

يقول القديس بولس في رسالته إلى أهل أفسس: "فأقول لكم وأستحلفكم بالرب ألا تسيروا بعد ذلك سيرة الوثنيين؛ يتبعون مذهبهم الباطل بظلام بصائرهم وقد جعلهم جهلهم غرباء عن حياة الله لقساوة قلوبهم، فلما فقدوا كل حس استسلموا إلى الفجور، فانغمسوا في كل فاحشة مستهترين"[1].

فاعتبر بولس أن اتباع المذهب الباطل والجهل والابتعاد عن الدين، هو اغتراب عن الله.

ويمكننا العثور في سفر المزامير على نصوص أخرى تفيد المعنى نفسه، إذ جاء في المزمور الرابع والخمسين ما نصه "اللهم باسمك خلصني، وبقوتك احكم لي، اسم يا إله صلاتي، أصغ إلى كلام فمي، لأن غرباء قد قاموا على وعتاة، طلبوا نفسي، لم يجعلوا الله أمامهم"[2].

ويقصد بالغُرَبَاءَ، الزائفين. والعُتَاة أي الأقوياء. فالغرباء هم كل من كان على شاكلة

---

[1] العهد الجديد: رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس، الإصحاح 4، الفقرة 18.

[2] العهد القديم: سفر المزامير، المزمور 54، فقرة3.

الزيفيين، في الخيانة والغش مهما كان اعتقادهم[1].

فالمعنى المراد دائماً بالاغتراب في الفكر الديني المسيحي هو أن الخطيئة، أدت إلى الانفصال عن الله والاغتراب عنه. وبالتالي فإن الخطيئة سبب في الاغتراب، ونقد الدين والابتعاد عنه سبب في اغتراب الروح عن خالقها، وعن هدفها.

- **مفهوم الاغتراب الديني عند فويرباخ:**

اعتبر فويرباخ أن الاغتراب الديني هو أساس كل اغتراب فلسفي أو اجتماعي، نفسي أو بدني. فما هو معنى الاغتراب الديني عند فويرباخ؟ لقد قام فويرباخ بإرساء مفهوم الاغتراب الديني، في مؤلفاته وكتبه وفلسفته بشكل عام من خلال عدة نقاط مهمة، قام من خلالها بتفسير الاغتراب بحسب فلسفته الخاصة، وهي كالتالي:

1- بيان الاختلاف الجوهري بين الإنسان والحيوان

يقول فويرباخ إن الدين يستند على الاختلاف الجوهري بين الإنسان والحيوان: الإنسان متدين، الحيوان ليس كذلك. ويتساءل: ما هو إذاً هذا الاختلاف الجوهري الذي جعل الدين ممتنعاً على الحيوانات وخص الإنسان وحده بالتدين؟ إنه الوعي. فالإنسان قادر على أن يتحدث ويحاور

[1] https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Antonious-Fekry/21-Sefr-El-Mazameer/Tafseer-Sefr-El-Mazamir__01-Chapter-054.html

نفسه، ويعتبر فويرباخ أن محاورة النفس، هي شيء خاص بماهية وجوهر الإنسان. واعتبر أن الدين يوجد في وعي الإنسان الداخلي[1].

إذاً فإن الاختلاف الجوهري بين الإنسان والحيوان بحسب فويرباخ هو الوعي، أي أن الوعي الإنساني هو الذي يخلق الدين، فوعي الإنسان الداخلي ومحاورته لنفسه، هو أول سبب لاختلاق الدين والإيمان بإله.

ويشرح جان بيار أوزييه مترجم كتاب جوهر المسيحية إلى الفرنسية فكرة فويرباخ على النحو التالي: "أن تكون واعياً يعني أن يكون عندك وعي بموضوع معين. وبالنسبة لفويرباخ فإن الوعي لا يكون وعياً بالمعنى الأنثروبولوجي، إلا عندما تكون الذات موضوعاً للوعي"[2].

نفهم من ذلك أنه عندما جعل الإنسان الدين والإله بشكل خاص موضوعاً للوعي، اغترب الإنسان، أو اغترب وعي الإنسان عن ذاته، لأنه أصبح يفكر في الدين، بالإله، بدلاً من ذاته. إذاً فاختلاف الإنسان عن الحيوان يكون أولاً بوعيه، ومن ثم بجوهره الخاص.

فالجوهر الإنساني بالنسبة لفويرباخ هو جوهر متكامل، تتحد فيه قوى الإنسان الثلاث، والتي هي الفكر والإرادة والقلب، فيقول" قوة الفكر هي نور المعرفة، وقوة الإرادة هي طاقة الشخصية،

---

[1] فويرباخ، لودفيغ، **جوهر المسيحية**، ترجمة جورج برشين، تقديم وتعليق وتدقيق نبيل فياض (بيروت: دار الرافدين، ط2، 2017) ص 55، 56.

[2] Feuerbach, L.: "L'essence du christianisme", presente et traduit de l'allemande par jean pierre osier, ed. Maspero, paris, 1982. Page: 20.

وقوة القلب هي الحب. العقل والحب والإرادة هي ضروب الكمال، هي القوى السامية، هي الجوهر المطلق للإنسان، بوصفه إنساناً وهي غاية وجوده"[1].

وبالتالي فإن وعي الإنسان الداخلي هو الذي يخلق الدين، ويتجاهل جوهره المتكامل وقواه الثلاث، بوضعها في كائن متمايز عنه وهو الإله.

2- تطور الأديان بشكل موازي لتطور الوعي الإنساني

يقول فويرباخ: "إن الدين هو وعي الإنسان الأول لذاته، لكنه وعي غير مباشر. والإنسان يبدأ بإسقاط جوهره خارجه قبل أن يعثر عليه في ذاته. الدين هو كينونة الإنسانية في طفولتها؛ فالإنسان حين يكون طفلاً يكون موضوعاً لذاته على شكل إنسان آخر"[2].

"الدين الجديد يرى الآن في الدين القديم مجرد عبادة أوثان: فلقد عبد الإنسان جوهره الخاص، تموضع الإنسان لكنه لم يتعرف في هذا الموضوع على كينونته؛ أما الدين الجديد فإنه يخطو هذه الخطوة؛ ولهذا يكون كل تقدم في الدين معرفة للذات أكثر تعمقاً"[3].

وهنا شبه فويرباخ التطور التاريخي للأديان، بمراحل تطور وعي الإنسان، وكذلك الأديان بالنسبة لفويرباخ، فقد بدأت الأديان القديمة بعبادة الأوثان، ومن ثم ألهت الإنسان، وبذلك يصبح تطور الدين كتطور الوعي الإنساني.

---

[1] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، 57.

[2] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، 69.

[3] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، 70.

وبالتالي فإن الوعي الإنساني، الذي خلق الدين في مرحلة الطفولة، لا بد أن يصل للإلحاد أو تأليه الإنسان في مراحل الوعي المتقدمة في مرحلة الشباب. فكما أن مرحلة الوعي الطفولية خلقت الاغتراب، فإن الوعي الإنساني المتقدم من شأنه أن يلغي الاغتراب ويلغي مفهوم الدين والإله.

3- التعارض بين الإنساني والإلهي هو تعارض وهمي

يقول فويرباخ: "تكمن مهمتنا تحديداً في التأكيد على أن التعارض بين الإنساني والإلهي إنما هو تعارض وهمي، إن الدين والدين المسيحي على الأقل، هو علاقة الإنسان مع ذاته، أو بالأحرى مع كينونته، لكنها علاقة مع كينونته التي تتبدى ككينونة مختلفة. الكائن الإلهي ليس شيئاً آخر غير الكائن البشري، ولهذا تكون كل محددات الكائن الإلهي هي ذاتها محددات الكائن البشري"[1].

بالنسبة لفويرباخ فإن التعارض بين الإنسان والإله، هو تعارض وهمي وغير صحيح، وكذلك فإن إعطاء الإله جميع صفات الكمال وسلبها من الإنسان هو الاغتراب بحد ذاته. "إن كل ما يحرم الإنسان نفسه منه، يتمتع به الإله وعلى مستوى أكثر سمواً وأكثر ثراء"[2].

يعتبر فويرباخ أن جوهر الدين، هو اغتراب ذات الإنسان وتحويلها لكينونة متمايزة عنه، تمتلك في ذاتها جميع صفات الكمال، وبالتالي تصبح مهمة الإنسان في أن يكون خيّراً ليرضي الإله، وتصبح مهمة الإله هي خلاص الإنسان. فيقول: "صحيح أن للإنسان غاية هي الله، ولكن

---

[1] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، 70.

[2] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، 84.

ليس لله من غاية أخرى غير خلاص الإنسان معنوياً وأبدياً. إذاً فليس للإنسان من غاية سوى ذاته. والنشاط الإلهي لا يتميز أبداً عن النشاط الإنساني[1]. "وكلما كان الله أكثر ذاتية وإنسانية، كلما انحرم الإنسان من ذاتيته ومن إنسانيته، وذلك لأنه الله في ذاته ولذاته هو ذات الإنسان المغتربة التي يستملكها الإنسان من جديد في الوقت نفسه[2].

يعتبر فويرباخ أن جوهر المسيحية هي العاطفة، ويتحقق مفهوم الاستلاب عند فويرباخ، في سلب الإنسان إرادته ووجدانه من أجل الخلاص، إذ أن خلاصه متوقف على غيره وليس على ذاته. يقول فويرباخ "من المسر في المسيحية أن تجعل خلاصك يعتمد على شخص ما بدل قوتك العفوية"[3].

4- مواجهة الإنسان لحدوده الخاصة، وإيمانه بقوة عليا

يقول فويرباخ: " عندما يقارن الإنسان معارفه وقوته الأخلاقية بأفعال ومعرفة الإنسانية مجتمعة، أو أيضاً ضعفه بالمقارنة مع القدرة الكلية للطبيعة، فهو يعتقد أنه واجه حدوده الخاصة. إذ يقتنع بأنه غير قادر، بوسائله الخاصة، أن يحقق الخير والحب والحق فإنه يسقط هذه المحمولات، خارجاً عن ذاته ليحولها إلى كائن أعلى يسميه الله"[4].

---

[1] فويرباخ، **جوهر المسيحية** 88.

[2] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، 89.

[3] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، 223.

[4] ارفون، **فويرباخ**، مرجع سابق، 33.

إذاً بالنسبة لفويرباخ فإنه عندما يُقارن الإنسان نفسه بمجتمعه، يخيل له بأنه ناقص، ومحتاج، لقوة خارقة للطبيعة، تحميه وتساعده وتشعره بالأمان. وهنا يسقط في الاغتراب، فيقوم الإنسان بتغريب ذاته، من خلال إسقاط كمالاته، وماهيته اللامتناهية، في ماهية الإله.

وهذا الاغتراب الديني عند فويرباخ، هو اغتراب الذات الإنسانية عن ذاتها، لكنها في نفس الوقت الذي تغربت فيه، ستحاول استعادة ذاتها من جديد. وهنا يجعل فويرباخ مهمة الفلسفة الأولى هي الإنسان، الإنسان الذي تغرب عن ماهيته، بإسقاطها في كائن آخر هو الإله. وهذا ما سعى إليه فويرباخ من خلال فلسفته الأنثروبولوجية، ونقده للدين المسيحي، محاولاً إعادة ماهية الإنسان الحقيقية، أي كماله، وإعادة الإنسان للوعي بذاته.

يقول آرفون إن "كل نقد فويرباخ الديني مستوحى من فكرة الاغتراب وموجه بها... فالإنسان بعد أن أضاع نفسه في الله، وجدها فيه من جديد وبهذا اكتشف سيادته" وهذا الاكتشاف للسيادة هو الذي سيساعد على الانتقال إلى مرحلة الأنثروبولوجيا الفويرباخية، والارتقاء بالإنسان كقيمة للإنسان أي الإنسانية"[1].

ولنسقط كل هذا الكلام على تجربة فويرباخ الاغترابية، فقد درس فويرباخ أولاً اللاهوت فكان مؤمناً بروتستانتياً، أي كما وصف فويرباخ وعي الإنسان، فقد جعل فويرباخ موضوع وعيه الأول هو الدين، فاغترب بذلك عن ذاته. إلى أن انتقل لدراسة الفلسفة، حينها أعاد لوعيه ذاته.

---

[1] ارفون، **فويرباخ**، مرجع سابق، 31-32

وعندما تعمق أكثر بالفلسفة استوحى من فلسفته الاغترابية، نقده للدين المسيحي بشكل خاص، والدين بشكل عام.

فالدين عند فويرباخ هو وهم نسجه الوعي المغترب للإنسان، واعتقاده بنقص قدراته، وكمال الإله الذي سوف يُخلصه من مصاعب الحياة كالزلازل وأخطار الطبيعة.

وهنا يبرز الفرق بين مفهوم الاغتراب الديني في المسيحية وبين فلسفة فويرباخ، فالاغتراب في المسيحية يعني الابتعاد عن الله، ولكن عند فويرباخ الإيمان والاقتراب من الإله هو الاغتراب، وكلما ابتعد الإنسان عن مبدأ الإله، كلما حقق ذاته، ووجد وعيه، وتخلص من اغترابه.

المبحث الثاني: فويرباخ حياته وأفكاره (1804-1872)

المطلب الأول: نشأة فويرباخ ولمحات من حياته

وُلِد لودفيغ أندرياس فويرباخ في ولاية بافاريا الألمانية، وهو الابن الثالث للمحامي البارز بول يوهان فويرباخ، التحق فويرباخ بجامعة هايدلبرغ بهدف خدمة الكنيسة، ودرس اللاهوت البروتستانتي في هايدلبرغ عام 1823. ثم أكمل دراسته في برلين، حيث نشر رسالته الأولى متأثراً بهيغل بعنوان " العقل الواحد الكلي اللا متناهي" عام 1828م[1].

بدأ بعد ذلك بإعطاء محاضرات في تاريخ الفلسفة الحديثة في الجامعة، وكانت لأفكار فويرباخ التي ألحقها بكتابه الأول دون ذكر اسمه (بعنوان أفكار حول الموت والخلود، حيث تضمن

---

[1] فويرباخ، لودفيغ، **جوهر الإيمان بحسب مارتن لوثر**، ترجمة جورج برشين، تقديم وتعليق وتدقيق نبيل فياض (بيروت: دار الرافدين، 2017). ص 20.

هجوماً على الخلود الشخصي في المسيحية)، الأثر الكبير على مسيرته الأكاديمية، التي خسرها في ذلك العام[1].

تزوج في عام 1837 وعاش في الريف في بروكبرج بالقرب من نورمبرغ، بدعم من حصة زوجته في مصنع للخزف. التي أعانته على إكمال مسيرته كباحث مستقل، وبعد أن أسس صديقه أرنولد روغه حوليات هاله للعلم والفن الألمانيين، بدأ فويرباخ يسهم فيها بمقالات وبحوث منذ عام 1838، بما في ذلك مقالته التي حملت عنوان "نحو نقدية للفلسفة الهيغلية"، والتي بدأ فيها للمرة الأولى الابتعاد علناً عن الفلسفة الهيجلية، داعياً إلى العودة إلى الطبيعة، والتفسير الطبيعي لأسرار المسيحية[2].

خرج فويرباخ من عزلته الريفية وبدأ بإلقاء سلسلة من المحاضرات العامة في هايدلبرغ في بداية السنة ذاتها. مواصلاً بذلك تركيزه على الدين في أعماله مثل أصل الدين الذي صدر عام 1845، وعلم نشوء الآلهة عام 1857[3].

ولسوء حظه توقف معمل الرخام عن دعمه، وأشهر المعمل إفلاسه عام 1859، وفي السنة التي تلت أُجبر هو وزوجته على الانتقال إلى قرية رخنبرغ، الموجودة على أطراف نورمبرغ، حيث عاش فويرباخ ما تبقى من حياته في ظروف اقتصادية قاسية، وتدهور حالته الصحية[4].

---

[1] المرجع نفسه، 23.

[2] المرجع نفسه، 25.

[3] فويرباخ، **جوهر الإيمان بحسب مارتن لوثر**، 26.

[4] فويرباخ، **جوهر الإيمان بحسب مارتن لوثر**، 27.

وقد استطاع إصدار المجلد العاشر من أعماله الكاملة التي بدأ بكتابتها عام 1846م وانتهى منها عام 1866، وقد حمل المجلد العاشر عنوان الإله، الحرية الأزلية من منظور علم الإنسان.

لُقب فويرباخ بجدول النار، لكون اسمه يتكون من المقطعين Feuer وتعني النار وBach وتعني جدول فيصبح اسمه Feuerbach بمعنى جدول النار، لكن اللقب لم يستمد فقط من معنى الاسم، بل اعتبره البعض أيضاً بأنه جدول خط طريقه بين الجبلين العملاقين اللذين سار بينهما وهما هيغل وكارل ماركس. فأحرق الأول بنار نقده وطهر الثاني بمائه الساخن وتأثيره الواضح فيه، مؤسساً بجريانه نظريته الفلسفية الأصلية الإنسانية قاصراً الفلسفة إلى انثروبولوجيا فلسفية[1].

[1] عباس، فيصل، **الموسوعة الفلسفية عواصف فكرية بعد هيغل** (بيروت: مركز الشرق الأوسط الثقافي، ط1، ج8، 2011) ص89.

المطلب الثاني: فويرباخ واللاهوت (1824 – 1822)

نشأ فويرباخ على يد أبوين عقدا العزم على حمايته من الكاثوليكية التقليدية القوية، في جنوب ألمانيا بتنشئته وفق تربية لوثرية صلبة. وخلال السنوات التي قضاها في الدراسة في أنسباخ – ألمانيا، كانت لديه تقوى عميقة، موجهة للكتاب المقدس، حيث كان يأخذ دروساً خصوصية باللغة العبرية القديمة لتكملة دراسته للكتاب المقدس[1].

فبعد أن أنهى فويرباخ دراسته الثانوية قرر تكريس نفسه لدراسة اللاهوت البروتستانتي. ونستطيع من هذه الفترة أن نلمح بذور ذلك الاهتمام القوي والدائم بالدين؛ ووعيه الذي لم يكف أبداً عن التساؤل، حول الأمور الدينية.

يقول فويرباخ واصفاً مسيرته الروحية: "لم يكن أول ميل استشعرته في حياتي ميلاً للعلوم أو الفلسفة بل للدين، وهذا الميل لم يأتني بفعل التربية الدينية التي تركتني –كما أذكر جيداً– غير مبال بها، أو بسبب تأثيرات خارجية، بل أتاني هذا الميل من ذاتي فحسب، انطلاقاً من رغبتي في شيء لم تكن توفره لي بيئتي ولا التعليم الذي كنت أتلقاه في المدرسة[2]".

ويقول أيضاً: "كانت فكرتي الأولى هي الله، وكان العقل فكرتي الثانية، وكان الإنسان هو فكرتي الثالثة والأخيرة"[3].

---

[1] فويرباخ، لودفيغ، **أفكار حول الموت والأزلية**، ترجمة نبيل فياض (بيروت: دار الرافدين، 2017) ص25.

[2] آفرون، هنري، **فيورباخ** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981) ص1.

[3] المرجع السابق، ص2.

مع ذلك، حين أزف الوقت لدخول جامعة هايدلبرغ للتحضير للعمل الديني، حدث شيء هز أركان إيمانه في دراسته البحثية للكتاب المقدس. وربما كان مرد الأمر معلمه في الأمور الدينية، تيودور ليموس (1777–1837) الذي كان في تلك الآونة تلميذاً للاهوتي هايدلبرغ، كارل داوب (1765–1836)، الذي كان يشرح العقيدة المسيحية مستخدماً الأصناف الفلسفية لهيغل[1].

إضافة إلى ذلك، ففي حين كان يمضي بضعة أشهر في دراسته التحضيرية، راح فويرباخ يقرأ ويوجز عمل هردر[2] "رسائل تتعلق بدراسة اللاهوت (1780–1781) الذي قد يكون غرس عدم الثقة بكل من المذهب الأرثوذكسي حول الوحي اللفظي وبالتفسير النقدي البحثي على حد سواء.[3]

بعد وقت قصير من بدء الدراسة في هايدلبرغ شعر فويرباخ بنفور شديد من مغالطات الأستاذ هاينريش باولوس (1761–1851) والذي هو واحد من رواد أنصار التفسير العقلاني النقدي في القرن التاسع عشر، بينما وجد أن داوب هو الأستاذ الوحيد للاهوت الذي يستحق أن يصغى له. ولأنه ما كان يحبه فويرباخ في داوب هو تصنيفاته الهيغلية، فإنه لم يمض وقت طويل قبل أن تهبط عليه فكرة تعلم هذه التصنيفات على نحو مباشر.[4]

---

[1]فويرباخ، لودفيغ، **أفكار حول الموت والأزلية**، ترجمة نبيل فياض (بيروت: دار الرافدين، 2017) ص26.

[2]يوهان غوتفريد هردر، فيلسوف وكاتب ألماني ولد عام 1744 في بروسيا الشرقية وتوفي عام 1803 في فايمار شرق ألمانيا، عُيّن قساً، وذهب إلى ريغا ليعلم في مدرسة الفقه الكنسي، وهناك عكف على المسائل التي كان يثيرها النقد آنذاك، وانتهى إلى تصورات تجديدية. يُنظر: **معجم الفلاسفة**، جورج طرابيشي، ص 699.

[3] فويرباخ، **أفكار حول الموت والأزلية**، 26.

[4] المرجع السابق.

على الرغم من إقناعه لوالده بدعمه في مواصلة دراسته من أجل العمل الرعوي في برلين بسبب اللاهوتيين الكبار الذين يقيمون هناك، فعندما وصل إلى المدينة في ربيع عام 1824، لم يعد فويرباخ واثقاً من أنه يريد أن يصبح راعياً دينياً. كان منجذباً في الأصل إلى الفلسفة باعتبارها وسيلة للتعبير عن المعتقد الديني، لكنه توقف عن النظر إلى الفلسفة واللاهوت على أنهما متوافقان، وهو ما يتناقض مع فرضية هيغل بأن مضمون العقيدة، إذا فُهم كما ينبغي، كان ممكناً له أن يُصاغ فلسفياً دون أن يدمر.[1]

ولم يمض وقت طويل حتى جاء قراره النهائي: خلال الفصل الدراسي لشتاء 1824–1825 وجد فويرباخ نفسه غير قادر على إكمال دورات دراسية لاثنين من الأكاديميين المسيحيين الرائدين في أيامه، وهما المؤرخ الكنسي يوهان أوغست فيلهلم نيندر (1789–1850) واللاهوتي شلايرماخر[2].

يقول فويرباخ: "لأنه بالنسبة لروحي التي طلبت الحقيقة أي الوحدة والحزم، فإن الخليط اللاهوتي للحرية والاتكالية العقل والإيمان كان بغيضاً حتى الموت". وبدأ يفقد ثقته باللاهوت إذ وضح ذلك برسالة كتبها لأبيه. يقول فيها: "وصلت إلى جامعة برلين وأنا بحالة قصوى من التمزق، بحالة تعاسة وعدم استقرار، كنت قد بدأت استشعر في نفسي الشقاق بين الفلسفة واللاهوت، ضرورة التضحية إما بالفلسفة من أجل اللاهوت أو باللاهوت من أجل الفلسفة"[3].

---

[1] فويرباخ، **أفكار حول الموت والأزلية**، ص26، 27.

[2] لاهوتي ألماني، ولد عام 1768 وتوفي عام 1834م. من أهم مؤلفاته: الإيمان المسيحي طبقاً لمبادئ الكنيسة الانجيلية، والأخلاق الفلسفية. يعتبر شلايرماخر أن هناك تنافياً مطلقاً بين العقل والدين، فالعقل يهيمن على الحياة العملية، على نظام المتناهي؛ بينما يتفتح الدين في اللا متناهي. المصدر: **معجم الفلاسفة**، جورج طرابيشي، ص396-397.

[3] ارفون، **فيورباخ**، ص2.

وقد بين فويرباخ في عدة مواضع من مؤلفاته، أنه اختار الفلسفة على الدين، ووجد نفسه فيلسوفاً أكثر منه لاهوتياً. ونرى هذا الأمر بشكل واضح، من خلال فلسفته الأنثروبولوجية الناقدة للدين.

لم يكتب فويرباخ أية مؤلفات خلال دراسته للاهوت، فقد كان لا زال طالباً ومتعلماً، لذلك لا نملك نصوصاً أو اقتباسات لفويرباخ في هذه المرحلة.

المطلب الثالث: فويرباخ والتحول نحو الفلسفة

تحددت في برلين بذور الفكر الفويرباخي الأصيل اللاحق، فالكثير من المسائل قد وجد لها حلاً مع هيغل حيث قال: "إن العديد من المسائل التي كانت قد بقيت مع دوب غامضة وغير مفهومة، بالنسبة لي، أو بدت لي معزولة ونابعة من الصدفة، فهمتها بفضل بضع محاضرات من هيغل وعرفتها، أو هذا ما يبدو لي على الأقل، في ضرورتها وترابطها الداخلي"[1].

لقد تحول فويرباخ من اللاهوت إلى الفلسفة بفضل معلمه المفضل هيغل، فقد كان فويرباخ من المعجبين بفلسفة هيغل في أول دراسته للفلسفة، إلا أن هذا الإعجاب تحول إلى نقد ونفي لفلسفة هيغل مع مرور الوقت، وبيان هذا التحول مهم جداً، فقد افترض كثير من الباحثين أن فويرباخ مجرد صلة وصل بين هيغل وماركس، إلا أن أهمية فلسفة فويرباخ تكمن في أنه استطاع أن يطوع فكر هيغل، ينقده، ويؤثر في غيره.

فقد كان فويرباخ "أول من أكمل هيغل ونقده من وجهة نظر هيغل بحله الروح المطلقة ميتا فيزيائياً إلى الإنسان الحقيقي على أساس الطبيعة"[2].

تتضح أهمية نقد فويرباخ لهيغل، إذا ما فهمنا وضع المدرسة الهيغلية بعد وفاة هيغل سنة 1831. فقد انقسمت مدرسته إلى جناح يميني محافظ وجناح يساري هم الهيغليون الشباب، الذين كانوا يعملون من أجل التحويل الثوري لفلسفة هيغل، وكان فويرباخ أبرز نُقاد الفلسفة الهيغلية.

---

[1] آرفون، **فيورباخ**، ص9.

[2] ماركس، كارل، **العائلة المقدسة أو نقد النقد النقدي**، ترجمة حنا عبود (دمشق: دار دمشق للطباعة والنشر، 1978) ص181.

فأصبح رفض فويرباخ للفلسفة الهيغلية قضية عامة سنة 1839 عندما نشر فويرباخ مساهمته في نقد الفلسفة الهيغلية، كما قال ماركس فارتوفسكي، لم يعد اكتشاف هيغل للمطلق[1] هو الذي شغل ألمانيا، بل إن نقد فويرباخ لادعاءات هيغل المثالية المطلقة وكشفه عن التناقض الداخلي في النظام الهيغلي والديالكتيك[2] هو الذي أصبح مسيطراً ابتداءً من 1839[3].

يقول انجلز: "في الوقت الذي ظهر في جوهر المسيحية فسحق بضربة واحدة التناقض بين الفكر والطبيعة، مُعلناً من جديد وبكل صراحة، انتصار المادية. فالطبيعة توجد مستقلة عن كل فلسفة. فهي الأساس الذي نمونا عليه نحن، وخارج الطبيعة والإنسان لا يوجد شيء"[4].

إذاً يمكننا أن نفهم بأن أكثر ما استفز فويرباخ في فلسفة هيغل وقام بنقده جُملةً وتفصيلاً، هو فكرة المطلق وتجريد العالم من واقعيته، فقد اعتبر فويرباخ أن فلسفة هيغل تُركز في الماوراء المجرد، بدلاً من تركيزها في العالم الواقعي الحسي.

هَدَفَ فويرباخ في مؤلفاته حول الفلسفة إلى تحرير الفلسفة من الدوران في حلقة مغلقة، فاعتبر فويرباخ أن فلسفة هيغل كانت في مرحلة خداع ذاتي، لأنها اكتفت بالفكر الخالص المجرد، وألغت الوجود الواقعي الحسي. ويرى فويرباخ أن هذا الانتقاص من قيمة الواقع الحسي ومن قيمة

---

[1] مصطلح المطلق، أو الروح المطلقة، أو الفكرة المطلقة، في فلسفة هيغل يشير إلى الوجود الشامل أو الحقيقة النهائية، وهو الوعي الشامل والتطور الروحي النهائي للإنسان متمثلاً في الإله. يُنظر: معجم مصطلحات هيجل، ميخائيل أنوود، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ص59.

[2] مصطلح الديالكتيك يعني الجدل، وهو منهج فلسفي يستخدم لفهم التطور والتقدم في الفكر والوعي، يعتمد هذا المنهج على فكرة التناقض والتطور المستمر، حيث يرى هيغل أن التقدم يحدث من خلال تصادم التناقضات والصراعات بين الأفكار والمفاهيم المتضادة. يُنظر: معجم مصطلحات هيجل، ميخائيل أنوود، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ص166.

[3] ديب، حنا، **هيغل وفويرباخ** (بيروت: دار أمواج، ط1، 1994) ص24.

[4] المرجع السابق، ص24، 25.

الطبيعة والعالم الواقعي مصدره اللاهوت المسيحي والذي هو مصدر الفلسفة الحديثة كلها بما فيها فلسفة هيغل[1].

إذاً فقد أراد فويرباخ في مؤلفاته الفلسفية، تحرير الفلسفة واعادتها إلى العالم الواقعي الحسي، بدلاً من الفكر الهيغلي المجرد.

إضافة إلى ذلك فإن الفلسفة بالنسبة لفويرباخ يجب أن تكون تاريخاً للإنسانية، ولكن ليس بمعنى أن تُلخص تاريخ الإنسانية الماضي وتنطلق منه كما يعتقد هيغل، وإنما مهمة الفلسفة أن تستبق المستقبل الإنساني وتسهم في تحديد مسار التاريخ الإنساني للمستقبل، أي أن تنظر للحاضر نظرة مستقبلية؛ وبمعنى أوضح يجب على الفلسفة أن تطرح على الأجيال الحاضرة المهمات التي تسهم في تحقيق مستقبل مشرق للبشرية على المدى البعيد[2].

إذاً فإن هدف الفلسفة عند كلٍ من هيغل وفويرباخ مختلف، بالنسبة لهيغل فإن مهمة الفلسفة، هي معرفة المطلق، هذه المعرفة التي لا تتحقق إلا في فلسفته هو. أما بالنسبة لفويرباخ فإن هدف الفلسفة هو تحقيق مستقبل مشرق للإنسانية.

إنه من الصعب تلخيص فلسفة هيغل في مطلب مُصغر، فمن المعروف أن فلسفة هيغل تتسم بالتعقيد وهي من أهم الفلسفات الحديثة، إلا أن ما يهمنا هنا، بيان مفهوم الاغتراب لدى هيغل لنتمكن من فهم نقد فويرباخ له.

---

[1]ديب، حنا، **هيغل وفويرباخ** (بيروت: دار أمواج، ط1، 1994) ص32.

[2]المرجع السابق، 35.

يُمثل الدين جانباً محورياً في فلسفة هيغل، وهو جزء من نظرية "جدلية التاريخ" أي أنه أيضاً يمر بعدة تناقضات وصراعات، في سعيه للوصول إلى المطلق. فما هو الدين بالنسبة لهيغل؟ وكيف فهم الاغتراب ضمنه؟

يمر الدين في مساره التاريخي الجدلي بعدة مراحل يمثلها هيغل، بالديانات الشرقية القديمة مثل البوذية والزرادشتية، ومن ثم الديانة اليهودية، مروراً بالديانة اليونانية والرومانية، إلى أن يصل إلى الدين المطلق، والذي هو بالنسبة لهيغل الديانة المسيحية.

يعتبر هيغل أن الإنسان في جميع الديانات السابقة للمسيحية، مُثل على أنه مخلوق متناه ومحدود، أما الإله فلامتناه ولا محدود، فهذه الديانات قامت بفصل الإنسان عن الإله، أي عن المطلق، وجعلت الوصول إليه مستحيلاً، وبذلك فقد عانى الإنسان في الديانات السابقة للمسيحية، من اغترابه عن ذاته، ومن استحالة وصوله للمطلق أي الإله[1].

لكن الأمر مختلف في المسيحية، ففي المسيحيّة يعتبر المسيح إلهاً وإنساناً معًا، فتصور اللّامتناهي ينزل من عرشه ويدخل في منطقة المتناهي فيحيا حياتنا ويتألّم ويموت ثمّ يبعث فيعود إلى مجده، ففيها إثباتٌ ونفيٌ وتركيبٌ وهي تختصر الأديان وتصفّيها وتكمّلها كما يختصر الشّعر الفنون الجميلة، فهي الدّين المطلق[(2)].

---

[1] يُنظر: ماسترسن، باترك، **الإلحاد والاغتراب**، ترجمة هبة ناصر، (العراق: العتبة العباسية المقدسة، ط1، 2017) ص55

[(2)] عويضه، كامل محمّد محمّد، **هيجل جورج وليم فردريك دراسة وتحليل في الفلسفة المعاصرة** (بيروت: دار الكتب العلميّة، ط 1، 1993). ص108.

قد يفهم القارئ في بادئ الأمر أن فويرباخ يتفق مع هيغل في مفهوم الاغتراب، إلا أن الفارق الجوهري هو أن فويرباخ ينكر الوجود الإلهي تماماً، أي أنه ينكر فكرة المطلق لدى هيغل، ويؤكد أن الوجود الإلهي ليس شيئاً عدا طبيعة الإنسان أو ماهيته، ولا يوجد شيء خارج هذه الطبيعة.

فالدين لدى فويرباخ هو وعي الإنسان بذاته وشعوره، ومعنى هذا أن الله لا يخلق الإنسان، ولكن الإنسان هو الذي يخلق الله، بإسقاط كمالاته في وجود غير حقيقي، وغير مادي.

وبذلك يظهر لدينا أن فويرباخ استفاد من المفهوم العامّ للاغتراب لدى هيغل، ولكن أضاف مفهوماً آخراً مع الاغتراب وهو الإسقاط، إذ "بالنّسبة لفويرباخ إنّ جوهر الإنسان الحقيقيّ هو أنّه كائنٌ مادّيٌّ وجزءٌ من الطّبيعة، وتبرز فكرة الإله الشّخصيّ التّوحيديّة عندما يعي البشر أنفسهم كأصحاب عقلٍ، وإرادةٍ، ومحبّةٍ. فالإنسان يتأمّل في الدّين طبيعته كشيءٍ منفصلٍ عن نفسه"[1].

فبالنسبة لفويرباخ فإن الكائنات البشريّة تُسقط مشاعرها وأفكارها المثاليّة في سماءٍ وهميّةٍ ثمّ تُقدّس تلك السّماء على أنّها الحقيقة المطلقة والقصوى، لتُصبح بدورها أوهامًا لتلك السّماء الحقيقيّة. فكأنّ الإنسان في عبادته للإله يعبد نفسه، لذا إنّ الدّين بالنسبة لفويرباخ هو الاغتراب بذاته، ولا بدّ من نزع عائق القدسيّة الإلهيّة عنه كي يتحوّل إلى دينٍ إنسانويّ.

---

[1] Kenny, Anthony, a new history of western philosophy vol. 4 philosophy in the modern world, Oxford University Press: Oxford, 2008. P.291-292

في نهاية هذا المطلب يمكننا أن نلخص أهم الأفكار حول فويرباخ الفيلسوف كالتالي:

1- توصل نقد فويرباخ لهيغل، باعتبار أن فلسفة هيغل شكلٌ من أشكال الاغتراب لأنّها تعتبر جوهر الإنسان خارجيًّا عنه، أي أن جوهر الإنسان يوجد في المطلق الذي يسعى للوصول إليه.

2- مهمة الفلسفة الأولى لدى فويرباخ، هي تحرير الإنسان والطّبيعة من النّزعة المثاليّة الهيغليّة، وإعادة الإنسان والطبيعة للعالم الواقعي المادي.

3- عمل فويرباخ على تحرير الإنسان من هيمنة سلطة الفكر اللاّهوتيّ، من خلال نقض أسس الدين المسيحي، وسنُفصل في هذا الأمر في الفصل الثاني.

4- تعمل فلسفة فويرباخ الاغترابية على تأسيس قواعد الدين الأنثروبولوجيّ، وسوف نبين في الفصل الثاني كيف قام فويرباخ بأخذ التغرب المسيحيّ، من جميع الأوهام التي تسرّبت له من الاتّجاهينِ اللاّهوتيّ والمثاليّ، وأبقى الدّين معبّرًا عن نشاطٍ إنسانيّ خالصٍ[1].

5- اعتبر فويرباخ أن مهمة العصر الحديث، هو إدراك الإله وأنسنته، أي تحويل اللاهوت إلى أنثروبولوجيا وحله فيها[2].

6- شدد فويرباخ على البعد الأنثروبولوجي للظّواهر الدّينيّة، فقد بات الإنسان في اغترابه وعلاقاته محور الدّراسات الدّينيّة بعد أنْ كان اللاّهوت، أي الإله، مركز تلك الدراسات.

---

[1] النصراوي، نادية أحمد، **فلسفة فويرباخ بين المادية والإنسانية** (بيروت: دار الرافدين، ط 2، 2017) ص14.

[2] فويرباخ، لودفيغ، **نحو نقديّةٍ لفلسفة هيغل ومبادئ فلسفة المستقبل ونصوصٌ أخرى**، ترجمة نبيل فياض، (بيروت: دار الرّافدين، ط 1، 2017) 235.

الفصل الثاني: موقف فويرباخ من الاغتراب الديني وأثره في نقد المسيحية

لقد اهتم فويرباخ بالإنسان بشكل كبير جداً، واعتبر أن مهمة الفلسفة الأولى هي تحقيق سعادة الإنسان، ولذلك كان الإنسان هو الفكرة الرئيسة في فلسفة فويرباخ، فلأجل الإنسان نقد فويرباخ الدين المسيحي باعتباره اغتراباً للذات الإنسانية، ولأجل الإنسان أنكر فويرباخ الإله، ولأجل الإنسان اعتبر فويرباخ بأن الحقائق مادية فقط، ولذلك اتخذ من المنهج الحسي التجريبي طريقاً للوصول إلى الحقيقة.

يقول هنري أرفون " إن النقد الديني الفويرباخي كله مستوحى من وموجه بمفهوم الاغتراب الديني"[1]. وبالفعل فإن الإطار العام لفلسفة فويرباخ الإلحادية، كان يتمحور حول فكرة الاغتراب الديني، ولذلك سنقوم في هذا الفصل بدراسة موقف فويرباخ اتجاه الاغتراب الديني بشكل عملي.

فما هي الأسباب التي دعت فويرباخ للقول بمقولة الاغتراب الديني؟ وكيف قام فويرباخ بتطبيق مقولته في الاغتراب الديني على الديانة المسيحية؟ وأخيراً كيف عالج فويرباخ الاغتراب الديني ضمن فلسفته الأنثروبولوجية والإلحادية؟

في الحقيقة يمكننا أن نفهم من سيرة فويرباخ الذاتية، أنه قد عاش الاغتراب بدايةً، فلقد كان مؤمناً بروتستانتياً وتربى على الإيمان في منزله من قبل والديه، ومن ثم في كلية اللاهوت على يد اللاهوتي كارل دوب.

---

[1] ارفون، هنري، **فيورباخ**، ترجمة إبراهيم العريس، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981) ص40.

أي أنه بحسب مفهومه للاغتراب، كان مؤمناً مغترباً عن ذاته وكمالاته، وعندما تحول إلى الفلسفة وجد نفسه، ووجد الإنسان الذي يجب أن يكون عليه، فهو ذات مفكرة ومحبة ذات إرادة وقوة، ولا يحتاج لقوة وهمية عليا تحميه أو تُخلصه.

إلا أن قليلاً جداً من الباحثين الذين ركزوا على هذه النقطة، وهي اغتراب فويرباخ نفسه، وكذلك فويرباخ في مؤلفاته، لم يتحدث قط عن اغترابه، أي لم يتحدث عن تجربته، فجُل كتاباته كانت بصيغة المخاطب للإنسانية جمعاء.

وربما يرجع السبب إلى أنه معظم الفلاسفة الألمان تحديداً، بدأوا بدراسة اللاهوت ثم تحولوا إلى دراسة الفلسفة، ومن ثم وضعوا نظريات مختلفة حول الدين، فمنهم من قام بنقده ولكن بقي مؤمناً، ومنهم من قام بتحديثه، ومنهم من نقده ونفاه بشكل كامل، مثل ما فعل فويرباخ، باعتبار أن الدين اغتراب.

فقد ولد فويرباخ عام 1804م وقام بالتحول إلى الفلسفة بعد رسالته لوالده عام 1825 الذي اعترف فيها بتخليه عن دراسة اللاهوت، أي أنه لم يتجاوز آنذاك الثاني والعشرين من عمره، لذلك يمكننا القول أن إيمانه كان إيماناً بالوراثة، فقد ولد لأبوين مؤمنين بالبروتستانتية.

ولربما بسبب ذلك لم يعتبر تجربته الاغترابية أمراً يستحق الذكر، فإيمانه بالدين المسيحي كان أمراً بديهياً، إلى أن كبر ودرس وبحث، فوجد ما في الفلسفة منطقياً أكثر من الدين المسيحي.

المبحث الأول: الاغتراب الديني لدى فويرباخ، أسبابه، وتطبيقه على المسيحية وعلاجه

ينقسم المبحث الأول إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسباب القول بالاغتراب الديني عند فويرباخ.

المطلب الثاني: تطبيق فويرباخ مقالة الاغتراب الديني على المسيحية.

المطلب الثالث: نفي الاغتراب الديني وقهره في فلسفة فويرباخ.

المطلب الأول: أسباب القول بالاغتراب الديني عند فويرباخ

لقد قام فويرباخ بدراسة الاغتراب الديني بشكل عام، ومن ثم قام بتطبيق مقولته في الاغتراب على الدين المسيحي، فأراد بذلك مخاطبة الناس واقناعهم بأن ذواتهم في اغتراب، طالما تؤمن أو تُسقط صفاتها في ذات عليا.

ويمكننا تلخيص أهم الأسباب التي دفعت فويرباخ للقول بالاغتراب الديني في خمس نقاط مهمة، وهي كالتالي:

أولاً: وضع ألمانيا السياسي، الاجتماعي، والديني

إن الفلسفة لا تنشأ من فراغ، وإنما وليدة البيئة، والفيلسوف هو من يصف المشكلة ويضع حلولاً لها، فيُخرج المجتمع من أزماته. ومن هنا فإن ألمانيا في النصف الأول من القرن التاسع عشر كانت تعج بمشكلات سياسية واجتماعية ودينية.[1]

حتى أن هيجل قال عن ألمانيا: "إن ألمانيا لم تعد دولة"[2]. لما تعانيه من مشكلات وأزمات وهزائم حربية، هذه الأزمات جعلت الفلاسفة يسعون إلى تشخيص الأسباب التي أدت إليها ووضع حلول لها.[3]

يمكننا أن نعتبر أن أهم الأحداث التاريخية التي أثرت على ألمانيا في القرن التاسع عشر، قد بدأت من القرن السادس عشر حيث بدأ عصر الإصلاح على يد مارتن لوثر الألماني، وواجه الكنيسة الكاثوليكية بقضاياه الخمس والتسعين، وترجمته للإنجيل وإتاحته لعدد كبير من الناس، تلاها بعد ذلك حرب الثلاثين عاماً في القرن السابع عشر بين الكاثوليك والبروتستانتية، والتي بدأت شرارتها تحديداً في ألمانيا، ومن ثم سيطرة الحكم الاستبدادي على يد فريدريش الثاني البروسي في القرن الثامن عشر، حيث هاجر كثير من الألمان إلى شرق أوروبا، بسبب الظلم والاستبداد وتقييد الحريات[4].

---

[1]الفار، أحمد السيد عبد الحميد، **مقالة الاغتراب الديني وتطبيقها على الإلهيات عند حسن حنفي**، جامعة الأزهر، 2021، ص3.

[2]ماركيوز، هربرت، **العقل والثورة هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية**، ترجمة الدكتور فؤاد زكريا، (مصر: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970). ص71

[3]الفار، أحمد السيد عبد الحميد، **مقالة الاغتراب الديني وتطبيقها على الإلهيات عند حسن حنفي**، جامعة الأزهر، 2021، ص 3.

[4] https://www.deutschland.de/ar/deutsche-geschichte-bis-1945

هذه الأحداث جميعها كانت سبباً في تشكيل بيئة القرن التاسع عشر، فمع بداية القرن التاسع عشر، عام 1803 أعلن مجلس المبعوثين الإمبراطوري، نهاية "الإمبراطورية الرومانية المقدسة للأمة الألمانية". كما جلبت الثورة الفرنسية "1789–1799" العديد من الأفكار الحديثة إلى ألمانيا، أهمها الشعور القومي ومقاومة الاحتلال الفرنسي على يد نابليون، وصعود العلمانية[1].

وفي خضم هذه الأحداث، نُشرت معظم كتابات فويرباخ، بين طرد نابليون من الأراضي الألمانية عام 1813 وثورة آذار عام 1848، ولم تكن كتابات فويرباخ الوحيدة آنذاك، فقد نشأت خلال الحرب ايديولوجيات ذات أهداف متعددة، فأيديولوجيا الوحدة الألمانية الحديثة، نادت بالأمة الواحدة، لصد الجيش القومي لفرنسا. كما نادى فلاسفة المثالية الألمانية لإصلاحات تعليمية في المدراس والجامعات. وكذلك نادى بعض الفلاسفة إلى الإصلاح الاقتصادي[2].

وقد دفع الخوف من القمع السياسي، بعض قادة المنظمات الطلابية والمصلحين إلى الهجرة إلى أمريكا في عشرينيات القرن التاسع عشر، حتى أن فويرباخ ذاته فكر في هذا بجدية، بعد فشل ثورة 1848، فنمت بذلك خلايا من الفلاسفة المهاجرين في سويسرا وفرنسا.[3]

لم يهاجر فويرباخ إلى أمريكا، ولكن تجربته الشخصية في محاولته للإصلاح، جعلته على بينة من المخاطر الكامنة في المواظبة على الدعوة للإصلاح، ففي عام 1824 عندما بدأ دراسته

---

[1] https://www.deutschland.de/ar/deutsche-geschichte-bis-1945

[2] فويرباخ، **أفكار حول الموت والأزلية**، مقدمة المترجم نبيل فياض، ص19.

[3] المرجع السابق، 23.

في جامعة برلين، أصبح هدفاً للمراقبة اليومية من قبل الشرطة، وبناءً على تقرير سري استجوبته اللجنة مرتين من قبل أن يسمح له بالتسجيل في الجامعة[1].

وبعد ست سنوات، عندما صدر كتابه "أفكار حول الموت والأزلية" علِمَ فويرباخ أن محاولات الإصلاح الديني أيضاً لم تكن معفاة من القمع، لأن سلطات الرقابة صادرت كتابه من المكتبات مباشرة[2].

فرغم اعتقاد معاصري فويرباخ أنه سيكون زعيماً سياسياً بسبب أفكاره ومباشرته العاطفية في كتاباته، إلا أن فويرباخ كان يعرف أن هناك فرقاً بين التعبير عن فكرة ووضعها موضع التنفيذ، لذلك قام كارل ماركس بنقده ووصف كتاباته بالتجريدية، فهي بعيدة كل البعد عن الواقع، والقمع الذي يتعرض له أبناء شعبه[3].

ولذلك لجأ فويرباخ إلى العزلة تعبيراً عن رغبته بأن يُترك وشأنه، فبقي منعزلاً عن التحالفات الدينية، السياسية، والأكاديمية. وفي عزلته قام بكتابة عدة مؤلفات، أهمها كتاب جوهر المسيحية، والذي تضمن بداخله فكرة الاغتراب الديني بشكل كبير.

---

[1] فويرباخ، **أفكار حول الموت والأزلية**، مقدمة المترجم نبيل فياض، 24.

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق.

ثانياً: طبيعة تكوين اليساريين الهيجليين ووجود الخرافات في المسيحية

كما ذكرنا سابقاً، فقد انقسم أنصار هيجل غداة موته في سنة 1831م إلى معسكرين: اليمين المحافظ، واليسار الثوري، وأهم خصائص هؤلاء الهيجليين اليساريين: العداء للدولة والكنيسة، وللماضي والتقاليد الموروثة، وبالجملة كانوا ضد النظام القائم، وكانوا متحررين من كل الروابط السياسية والدينية والاجتماعية. ولما كان الهجوم على الدين أقل خطراً من الهجوم على الدولة، فقد وجه اليسار الهيجلي أولى هجماته ضد الدين قبل أن يتجه إلى نقد السياسة أو الوضع الاجتماعي[1].

ومن هذا الوسط خرج فويرباخ الذي كان أحد اليساريين الهيجليين؛ فنقد المسيحية خاصة المذهب البروتستانتي الذي تربى عليه، وتعلمه، ورأى أن الجانب الإنساني هو أوضح جانب فيه، فالمسيح بشر صار معبوداً، فخرج فويرباخ بمقولة الاغتراب الديني، بأن الإنسان هو الذي نزع معبوده من نفسه، وجعله على صورته حين ضاع واغترب وفقد وعيه، فسلخ إلهه من جلده، وحين يسترد وعيه لن يجد إلا نفسه[2].

لم يكن فويرباخ وحده الذي شن هجوماً على المسيحية، فقد وجه كل من دافيد شتراوس، وبرونو باور وهما من الهيجليين اليسار نقداً للمسيحية، وكانا من أصدقاء فويرباخ، حيث أثبتا أن العقائد المسيحية ما هي إلا أساطير مليئة بالخرافات[3].

---

[1] بدوي، عبد الرحمن، **موسوعة الفلسفة** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، ج2، 1984) ص211.

[2] الفار، أحمد السيد عبد الحميد، **مقالة الاغتراب الديني وتطبيقها على الإلهيات عند حسن حنفي**، جامعة الأزهر، 2021. ص4.

[3] المرجع السابق، 20.

إلا أن فويرباخ بَيّن الفرق، بينه وبين صديقيه في مقدمة كتابه: جوهر المسيحية بقوله: "التمايز بين أعمالنا مُبيَّن بما يكفي عبر التمايز في أغراضها. يأخذ باور غرضاً لنقديته التاريخ الإنجيلي، أي المسيحية الكتابية، أو على الأرجح لاهوت الكتاب المقدس. أما شتراوس، منظومة العقيدة المسيحية وحياة يسوع والذي يمكن أن يدرج تحت عنوان العقيدة المسيحية، أو اللاهوت العقائدي. أنا المسيحية بشكل عام، أي الدين المسيحي، وبالنتيجة فقط الفلسفة أو اللاهوت المسيحيين. ومن هنا فأنا آخذ شواهدي بشكل خاص من أناس لم تكن المسيحية بالنسبة لهم مجرد نظرية أو عقيدة، ليست مجرد لاهوت، بل دين. إن موضوعي الرئيس هو المسيحية، هو الدين، باعتباره الغرض الآني، الطبيعة الآنية، للإنسان. إن سعة المعرفة والفلسفة ليسا بالنسبة لي غير الوسيلتين اللتين أسلط بهما الضوء على الكنز المخفي في الإنسان"[1].

أي أن كلاً من شتراوس وباور طبقا المنهج التاريخي باعتمادهم على الوثائق التاريخية في نقد المسيحية. أما نقد فويرباخ للمسيحية فقد كان نقداً قائماً على علم النفس؛ ذلك أن فويرباخ أراد أن يستخلص من الأناجيل المطامح النفسية للإنسان والقوى اللا معقولة في الطبيعة الإنسانية[2].

وقد قام فويرباخ بالاستعانة بمنهجه الحسي التجريبي، في تطبيق مقولته في الاغتراب الديني على الدين المسيحي؛ وذلك بإعادة عقائد الدين المسيحي إلى أصولها الأنثروبولوجية كما سنبين لاحقاً في المطلب الثاني.

---

[1] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، 51.

[2] بدوي، **موسوعة الفلسفة**، ص213.

فنقد الدين عند فويرباخ قائم على فكرة الاغتراب، أي تنازل الإنسان عن ذاته، لصالح المطلق أو الله، وهي الفكرة التي تقوم عليها معظم مؤلفات فويرباخ حول الدين.

ثالثاً: عداء الهيجليين اليساريين لهيجل

الهيجليون اليساريون كانوا أشد عداء للهيجلية من أي مذهب آخر، وكان شغلهم الشاغل هو تحطيم مذهب هيجل، أو إفراغه من مضمونه الحقيقي، أو الانحراف إلى ما يباعد تماماً بينه وبين روح مذهب هيجل. وهكذا كان موقف فويرباخ، فقد بدأ فلسفته بالهجوم العنيف على مذهب هيجل حتى قيل: إنه أنزل هيجل من على عرش الفلسفة[1].

وكي يتمكن من هذا الهجوم، تناول أضعف أجزاء فلسفة هيجل وهو فلسفة الطبيعة. فهو يأخذ عليه: أن نظريته الجدلية عاجزة عن الإحاطة بشمول الواقع الطبيعي[2].

وفويرباخ ينعى على الفلسفة الحديثة هذا الازدراء للطبيعة، ويرجع ذلك إلى تأثير اللاهوت؛ فهو لا يرى في هيجل إلا لاهوتياً متدثراً بمسوح الفيلسوف، ولهذا ينادي بإسقاط فلسفة هيجل، ومن هنا ذهب فويرباخ إلى أن الإنسان ظل زمناً طويلاً فريسة أوهام الفكر، وهي أوهام لقنها إياه اللاهوت، وعلى الإنسان أن يدرك حقائق الأشياء في الواقع. هنالك سيجد أنها إنسانية وليست إلهية كما تخيل[3].

---

[1] ديب، **هيجل وفويرباخ**، ص 22.

[2] الفار، **مقالة الاغتراب الديني**، مرجع سابق، ص 22.

[3] يُنظر: **موسوعة الفلسفة**، عبد الرحمن بدوي، ص 212، **وهيجل وفويرباخ**، حنا ديب، ص 32.

ويرى بيار أوزييه[1] أن تصفية حساب فويرباخ مع المسيحية هو في الوقت نفسه تصفية حسابه مع هيجل، طالما أن المسيحية تشغل بالنسبة لهيجل مكانة أساسية، سواء بالنسبة للفلسفة أو بالنسبة للسياسة.[2]

فكما ذكرنا سابقاً فإن هيجل يعتبر أن الأديان الأخرى، هي مقدمات للوصول إلى المسيحية. والمسيحية هي الدين المطلق بالنسبة له.

رابعاً: طبيعة المجتمع الطائفي

تفتحت عينا فويرباخ على الصراع الطائفي بين الكاثوليك والبروتستانت؛ ففي سن الخامسة عشر مكث فويرباخ عاماً في بيت والده، حيث ازدادت الأوضاع في بافاريا سوءًا؛ لأن الكاثوليك هجموا على البروتستانت "وقد أدى هذا بدوره إلى رد فعل جذري في المجتمع البروتستانتي الصغير الذي ينتمي إليه فويرباخ، وهذا التعصب الديني مسؤول إلى حد كبير عن المصاعب العامة في ألمانيا وعن إرسال فويرباخ إلى هيدلبرغ"[3].

ولا شك أن القلق الذي يسببه التطرف الطائفي وتمزق المجتمع والعنف أصّلَ في وجدان فويرباخ إشكالية الدين والتدين، ولما درس اللاهوت وجد الخرافات الموجودة في الدين المسيحي، ووجد دور الإنسان بارزاً فيه خاصة المذهب البروتستانتي الذي ينتمي إليه، فذهب إلى القول بالاغتراب الديني[4].

---

[1]مترجم كتاب جوهر المسيحية إلى اللغة الفرنسية.

[2]ديب، **هيغل وفويرباخ**، ص197.

[3]عطية، أحمد عبد الحليم، **الإنسان في فلسفة فويرباخ** (القاهرة: مؤسسة مجاز الثقافية، 2019) ص21.

[4]الفار، **مقالة الاغتراب الديني وتطبيقها على الإلهيات عند حسن حنفي**، ص23.

خامساً: وجود الصفة الإنسانية للإله في الدين المسيحي

فصيرورة الله إلى إنسان (المسيح) هي التي شكلت نقطة الانطلاق المسيحية، والمسيح الإنسان هو وحده إله البروتستانتية، إذ أنها لم تعد تهتم كالكاثوليكية بطبيعة المسيح الإلهية، فلم تعد البروتستانتية لاهوتاً، ليست بشكل أساسي سوى علم المسيح، ولذلك تبوأت اللوثرية مكانة محترمة في كتاب جوهر المسيحية، لأنها من خلال الإصلاح عادت إلى الأصل، وانخلعت من سطوة اللاهوت[1].

فقد استشهد فويرباخ بكثير من مقولات لوثر، وهو يرى أن المسيح الإنسان هو وحده إله البروتستانتية. يقول فويرباخ: "إذ أنها لم تعد تهتم، كالكاثوليكية بما هو الله في ذاته، إنما فقط بما هو من أجل الإنسان، كذلك لم يعد لديها ميل نظري أو تأملي كالكاثوليكية. فالبروتستانتية لم تعد لاهوتاً، فهي ليست سوى علم المسيح، كرستولوجيا[2]، وانثروبولوجيا دينية.[3]

أي أن علم المسيح الخاص باللاهوت البروتستانتي يقودنا في نهاية المطاف حتماً إلى الانثروبولوجيا كما يرى فويرباخ.

---

[1] المرجع السابق، 196.

[2] الكرستولوجيا هي مجال دراسة ضمن اللاهوت المسيحي مهتم بدراسة طبيعة يسوع، وخاصة كيفية ارتباط الألوهية والإنسانية في شخص يسوع.

[3] ludwig Feuerbach, **principles of philosophy of the future,** 1843 translated by Zawar Hanfi, 1972, page3.

إذاً لم يختر فويرباخ المسيحية بسبب تفوقها على الأديان الأخرى، لكن لأنها الدين الذي دُفعت فيه الصفة الإنسانية لله حتى نهايتها، الدين الذي يتألم فيه الإله كما يتألم البشر، ويغفر فيه الإله الخطايا كما يصفح البشر عن بعضهم البعض[1].

انطلق فويرباخ في نقده للدين من الدين المسيحي بشكل خاص، ثم عمم نتائجه على الدين بشكل عام، ذلك لأنه بالنسبة لفويرباخ، فإن مهمته هي كشف أسرار الدين، من خلال طرده لأوهام اللاهوت، كي يستطيع الإنسان الذي له ماهية مخفية عنه بسبب الدين، أن يعرف نفسه بنفسه[(2)].

فعرض ماهية المسيحية يعني أن نعرض أمام الإنسان ماهيته التي تم تجاهلها، أي نقد جهله بهذه الماهية ليصبح واعياً بها. وبذلك يصبح هدف فويرباخ أن يعرف الإنسان نفسه وماهيته الخاصة التي اغترب عنها في الدين.

---

(1) ديب، هيغل وفويرباخ، ص 197.

(2) ارفون، **فيورباخ**، ص33.

المطلب الثاني: تطبيق فويرباخ مقالة الاغتراب الديني على المسيحية

إن أهم كتاب ألفه فويرباخ في نقد الدين، والدين المسيحي بشكل خاص هو كتاب جوهر المسيحية، حيث أبرز من خلاله العنصر الإنساني في الديانة المسيحية، وبين فيه أن الإلهيات ما هي إلا إنسانيات مقلوبة.

ويظهر ذلك جلياً عندما يلمح فويرباخ إلى أن هدفه هو اختزال "اللاهوت لصالح الأنثروبولوجيا" أو أن "الإنسان هو المبدأ والمنتصف والغاية النهائية للدين". بالنسبة لفويرباخ، الإنسان هو مصدر الألوهية، وفيه توجد العلة التي تُنشئ الدين، وأن الصيغة الغربية لهذه الظاهرة تتحدد بالمسيحية[1].

ومن هنا كانت دراسة فويرباخ للمسيحية، ففيها يظهر المصدر الإنساني بوضوح؛ ومن ثم فهو يصر على أن الدين المسيحي هو الذي يقول بنظريته وليس هو؛ يقول فويرباخ: "الدين نفسه الذي يقول ذلك: الإله هو الإنسان، والإنسان هو الإله، لست أنا، هو الدين الذي ينكر الإله الذي ليس إنساناً، بل فقط كياناً عقلياً[2]، لأنه يجعل الإله إنساناً، ومن ثم يجعل هذا الإله، غير المتمايز عن الإنسان، الذي يمتلك شكل الإنسان، مشاعر الإنسان، وأفكار الإنسان، أنا فقط وجدت مفتاح التشفير للدين المسيحي"[3].

---

[1]فويرباخ، **جوهر المسيحية**، ص9.

[2]يقصد به كياناً منطقياً مجرداً لا يمتلك وجوداً وضعياً خارج الذهن، ملاحظة من المترجم نبيل فياض.

[3]فويرباخ، **جوهر المسيحية، ص44**.

إذاً فإنسانية المسيح الذي هو إله في المسيحية، دفعت فويرباخ للقول، بأن الدين هو الذي جعل من الإنسان إلهاً، وبالنسبة لفويرباخ فليس هنالك استثناء، فكما صار المسيح الإنسان إلهاً، إذاً كل إنسان بداخله إله. ومهمة فويرباخ هو أن يُبين ماهية الإنسان الحقة، ليعيده من اغترابه، ولذلك قام بنقد عقائد المسيحية بإرجاعها إلى أصلها الأنثروبولوجي.

وقد قام فويرباخ بنقد العقائد المسيحية، وبشكل خاص العقائد التي تؤمن بها الطائفة البروتستانتية، في كتابه جوهر المسيحية. وينقسم هذا الكتاب إلى جزأين رئيسين؛ يطور فويرباخ فيهما مسار خطين رئيسين لحججه، حيث يقوم بتكريس الخط الأول لعرض الجوهر الحقيقي للدين، بمعنى الجوهر الأنثروبولوجي، وفي الخط الثاني يعرض الجوهر المزيف للدين، أي الجوهر اللاهوتي[1].

فقام فويرباخ بقلب المعادلة، بوضع الصورة أو التخيل أو ما يريده هو، قبل الأصل أو الواقع الحقيقي للدين.

لذلك قمت بتصحيح هذه المعادلة، وبدأت بقسمه الثاني لبيان ما دفعه لكتابة القسم الأول، حيث قام فويرباخ في القسم الثاني (الجوهر المزيف للدين) بنقد سبع عقائد رئيسة في المسيحية، والتي من خلالها سيثبت رؤيته الأنثروبولوجية التي قدمها في القسم الأول من كتابه.

---

[1] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، ص9.

وهذا الجزء هو الأكثر إنكاراً، ونفياً لكل ما هو ديني، وهذا النفي له طابع النقد، ومرتكز على حجج وأدلة، بُنيت على يقين أن التمايز المزعوم بين المحمولات اللاهوتية والأنثروبولوجية هو تمايز زائف، هذا التمايز الذي يحاول اللاهوت الحفاظ عليه[1].

بالنسبة لفويرباخ فإن أسرار اللاهوت ليست كما هي، بل تُختزل ذاتياً إلى أسرار تقطن داخل الإنسان، الذي يُغرب عن جوهره الحقيقي الخفي والحبيس بكينونة مختلفة تماماً، غريبة وخاصة، ولذلك يدعو فويرباخ إلى تغيير العلاقات الدينية؛ فالإنسان الذي جعله الدين ثانوياً، يجب أن نعلي من شأنه إلى مرتبة الأمور الأساسية، ونخرجه من اغترابه، ليعرف قيمته وأهميته[2].

يقول فويرباخ: "فيما يتعلق بالسمة الحقيقية لتحليلي النظري للأسرار المقدسة، فأنا أوضح فيها وفقاً لمثال واضح ومرئي المضمون الأساسي، أنا أدعو فيها الحواس أنفسها لتشهد على حقيقة تحليلي وأفكاري، فكما أن مياه المعمودية والخمر والخبز في العشاء الرباني، وفق ما أعني، تؤخذ في فحواها وأهميتها الطبيعتين، تكون وتؤثر على نحو أكثر في أهميتها ما فوق الطبيعة والوهمية، كذلك فإن غرض الدين بشكل عام، متصوراً بالمعنى الوارد في هذا العمل، أي بالمعنى الأنثروبولوجي، هو أكثر إنتاجية وحقيقية بما لا حد له، نظرياً وعملياً على حد سواء، مما حين يُقبل بمعنى اللاهوت"[3].

---

[1] المرجع السابق، ص19.

[2] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، ص19.

[3] المرجع السابق، ص 48.

ويضيف: "لأنه كما أن ذلك الذي يُضفى على الماء، الخبز، الخمر، هو فوق وأعلى كل هذه المواد الطبيعية ذاتها، هو شيء في المخيلة ليس إلا، لكنه في الواقع لا شيء؛ كذلك أيضاً فإن غرض الدين بشكل عام، الجوهر الإلهي، المتمايز عن جوهر الطبيعة والإنسانية، هو شيء فقط في المخيلة"[1].

إذاً فويرباخ لم ينقد المسيحية، كأي ناقد من قبله، وإنما نقدها وفق رؤية إنسانوية مسبقة، هدفها الوحيد إرجاع كل ما هو وهمي وخارج الطبيعة الإنسانية، إلى ما هو حقيقي وضمن حدود الطبيعة الإنسانية، فهو يضع مكان ماء المعمودية المقدس، الماء الطبيعي، وكما فعل لوثر في نقده للعزوبة المقدسة، وارجاعه لأحقية الزواج، وكذلك فإن فويرباخ يقبل بالمسيح، ولكن وفق طبيعته كإنسان لا كإله.

وقبل أن نبدأ في عرض العقائد المسيحية ونقد فويرباخ لها، يجب أن نبين أن فويرباخ بروتستانتي لوثري، أي أنه عندما نقد المسيحية اقتبس الكثير من مقولات لوثر، نقد وأنكر معظمها، ووافق بعض مقولات لوثر التي تُعلي من شأن الإنسانية.

ولذلك قمت بالاستناد على كتاب "أصول التعليم المسيحي الكتاخيسمس الصغير لمارتن لوثر" لبيان وشرح العقائد المسيحية اللوثرية التي نقدها فويرباخ في كتابه جوهر المسيحية.

---

[1] المرجع السابق، ص49.

العقائد المسيحية السبع التي نقدها فويرباخ:

1- التناقض في وجود الإله:

بحسب تعاليم مارتن لوثر فإن المسيحية تؤمن بوجود إله متمايز في طبيعته عن الطبيعة الإنسانية، فهو إله أبدي، ثابت ولا يتغير، قادر على كل شيء، موجود في كل مكان، وهو إله قدوس منزه عن الخطأ[1].

يُعرف فويرباخ الدين على أنه "علاقة الإنسان بطبيعته الخاصة" أما علاقة الإنسان بطبيعة متمايزة عن طبيعته ومنفصله عنه، فهنا يكمن التناقض مع العقل. ومع مرور السنين، والتقدم في الفهم والتفكير بالدين، فإن الدين يصبح لاهوتاً، ويُصبح فصل الله عن الإنسان فصلاً متعمداً[2].

إذاً فإنه بالنسبة لفويرباخ، ففي أصل الدين لا يوجد تمايز نوعي أو جوهري بين الإله والإنسان، ويدلل على ذلك بأن المسيح بدايةً كان بشراً، ومن ثم قام البشر بتأليه المسيح، وهنا يكمن الاغتراب، فالاغتراب عند فويرباخ، هو الفصل بين الله والإنسان، واعتبار الله خارج الإنسان.

إذاً فإن الاعتقاد المسيحي بوجود إله منعزل عن وجود الإنسان والطبيعة، هو بالنسبة لفويرباخ اعتقاد خاطئ، وهو اعتقاد مبني على مخيلة الإنسان، الإنسان الذي يتخيل بأن هناك إلهاً موجوداً في السماء، إلهاً غير حسي. وبالنسبة لفويرباخ فإن كل ما هو غير حسي، فإنه غير موجود ومبني على خيال الإنسان، أي أنه وهم.

---

[1] لوثر، مارتن، **أصول التعليم المسيحي الكتاخيسمس الصغير**، (بيروت: المركز اللوثري للخدمات الدينية في الشرق الأوسط، 1983) ص52.

[2] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، ص 290.

يقول فويرباخ: "ولكن الإله لا يُرى، لا يُسمع، لا يُدرك بالحواس، إنه غير موجود بالنسبة لي، إذاً أنا لا أؤمن بإله، ليس ثمة إله بالنسبة لي"[1].

يبرر فويرباخ إلحاده، بإن كل ما هو غير حسي، غير موجود، ومن هنا يمكننا معرفة أن منهج فويرباخ في نقد الدين، هو المنهج الحسي التجريبي، ومن خلاله قام بتطبيق مقولته في الاغتراب الديني على الاعتقاد المسيحي القائل، بوجود إله متمايز في طبيعته عن الإنسان.

2- التناقض في وحي الإله:

بحسب تعاليم مارتن لوثر فإن المسيحية تؤمن بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله، وبأن رجال الله المؤمنين هم الذين دونوا الكتاب المقدس بوحي من الله، أي أن الروح القدس هو الذي أوحى لرجاله القديسين أن يكتبوا ويعبروا عن الأفكار والكلمات التي أوحى لهم بها، وكل كلمة وردت في الكتاب المقدس هي كلمة الله، ولهذا فإن الكتاب المقدس معصوم عن الخطأ[2].

يُعرف فويرباخ الوحي على أنه "شهادة الإله على وجوده، فالبرهان الحقيقي الأوحد على وجود الإله هو الوحي، لأن الإله يتحدث إلى الإنسان من خلال الوحي"[3].

مع ذلك فإن فويرباخ يُنكر وجود الإله، ويرى بأن هناك عدة تناقضات في مفهوم الوحي الإلهي، وهي كالتالي[4]:

---

[1] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، ص294

[2] لوثر، **أصول التعليم المسيحي**، ص44 و45.

[3] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، 299.

[4] حنفي، حسن، **دراسات فلسفية** (المملكة المتحدة: هنداوي، ج2، 2020) ص202.

أولاً: أن الإنسان لا يمكنه معرفة شيء عن الله، وأن كل معرفة عبث، وأن الإنسان لا يمكن أن يعلم شيئًا عن الله إلا ما يُعلمه الله إياه عن نفسه من خلال الوحي. فالمعرفة الإنسانية، مجرد ظن ورأي، في حين أن الوحي حقيقة ويقين، وهكذا يتم التنكر للمعرفة الإنسانية، والحط من قيمتها والشك فيها وهدمها.

ثانياً: استخدام الإله الكلام البشري والمفاهيم البشرية للتحدث إلى الإنسان، فالإله يفكر كما يفكر الإنسان وبالتالي فإن اعتبار الإله كينونة متمايزة متعالية عن الإنسان اعتقاد باطل. لأن الإله يوحي للإنسان وفق طبيعته واحتياجاته.

ثالثًا: الإيمان بالوحي إيمان طفولي، مرتبط بالمراحل الأولى لتطور البشرية. فبالنسبة لفويرباخ فإن الوحي يمكن أن يكون تربية للجنس البشري من الطفولة إلى مرحلة الشباب. ولكن يجب أن يختفي بمجرد استقلال الإنسان عقلاً وإرادة.

فإذا كانت أوامر الوحي متناسبة مع العقل والأخلاق فهي أوامر حسنة، ولكن رغم ذلك فبعض الأوامر يجدها فويرباخ اعتباطية وغير صحيحة، لذلك يجب على المرء أن يستقل بعقله وإرادته بمجرد بلوغه. وأن يعتبر ضميره الإنساني هو المسؤول عن فعل الخير وتجنب الشر.

رابعاً: الوحي قضاء على الحس الإلهي للإنسان. وهو تدمير للإحساس بالحقيقة والشعور بها.

خامساً: يعارض الوحي العقل لما فيه من معجزات وخرافات وأساطير، تفوق قدرة العقل على تصديقها.

سادساً: لما كان الوحي مكتوبًا فقد حدث فيه بالضرورة خطأ في النقل والرواية، ولما كانت الحقيقة أيضاً معطاة ذاتيًا في الإيمان، حدث تناقض بين الوحي المكتوب والوحي الروحي[1].

3- التناقض في طبيعة الإله:

بالنسبة لمارتن لوثر فإن المسيحية تؤمن بأن "الله روح" (يوحنا 24:4) وهو "كائن ذو عقل وإرادة ولكن بدون جسد" (لوقا 39:24)[2].

إذاً فطبيعة الله في الديانة المسيحية هي طبيعة مبهمة، لذلك اعتبر فويرباخ أن عقيدة عدم إمكانية الفهم الواضح unsearchableness، والإبهام للطبيعة الإلهية، هي سر السفسطة المسيحية. وسر هذا الإبهام هو لا شيء أبعد من أن صفة معروفة تُجعل صفة غير معروفة، صفة طبيعية تُجعل صفة فائقة للطبيعة، أي لا طبيعية، وذلك حتى يتم تقديم المظهر، الوهم، بأن الطبيعة الإلهية تختلف عن البشرية، وبذلك فهي طبيعة غير قابلة للاستيعاب"[(3)].

أي أن عقيدة عدم إمكانية الفهم كما يرى فويرباخ، هي التي سمحت للمسيحية بالمبالغة في تزييف الحقائق، فالحقيقة عند فويرباخ أن الإنسان في ذاته إله، والإيمان بكينونة إلهية متمايزة عن الإنسان هو أساس السفسطة المسيحية.

وفي هذه القضية يبحث فويرباخ عن سبب تدين الإنسان، والاعتقاد بإله، فيرى فويرباخ أن الإنسان يخلق الإله بسبب شعوره بالحرمان والفراغ، فهو يحتاج إلى إله.

---

[1] يُنظر: فويرباخ، **جوهر المسيحية**، ص306. ويُنظر: حنفي، **دراسات فلسفية**، ج2، ص202.

[2] لوثر، مارتن، **أصول التعليم المسيحي الكتاخيسمس الصغير**، ص50.

[(3)] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، ص 309

وبالطبع فيجب أن تختلف طبيعة هذا الإله عن طبيعة الإنسان، وإلا فما الحاجة إليه؟ ولذلك نُسبت للإله صفات خارقة، كأن يفكر في ذاته، ويعرف ذاته وبالتالي فهو يعرف هذا العالم وكل ما فيه.

يقول اللاهوت: "إن الله يتجاوز حدود الفهم وسر لا يمكن النفاذ إليه" وبالنسبة لفويرباخ فإن عدم فهم طبيعة الإله، سببه تدخل الخيال الذي هو أصل الدين وماهيته. فالدين بالنسبة لفويرباخ لا يحتاج إلى عقل وإنما يحتاج إلى خيال.

الخيال الذي يقوم بخلق الإله، ويجعل طبيعة هذا الإله مناقضة للإنسان تماماً، فيجعل الإله لا محدوداً، والإنسان محدوداً، ويجعل الإله قادراً، والإنسان ضعيفاً.

ويرى فويرباخ أن الدين في اعتماده على الخيال، فقد عنصر الثقافة وبناء الحضارات. يقول: " كلما ازدادت محدودية مجال رؤية الإنسان، كلما قلت معرفته بالتاريخ، الطبيعة، الفلسفة، كلما ازدادت حماسته في التمسك بدينه"[1].

أي أن الإنسان المتدين بالنسبة لفويرباخ لا يشعر بأي حاجة للثقافة، فالعبرانيين لم يكونوا بحاجة لأي فن وعلم فبالنسبة لهم فإن هذه الحاجة يشبعها يهوه. ويعتبر فويرباخ أن الإنسان المتدين هو إنسان سعيد، ويجد في مخيلته كل شيء مضموناً ومحافظاً عليه من قبل الإله.

يقول فويرباخ: "الدين المسيحي لا يمتلك في جوهره أي مبدأ للثقافة لأنه ينتصر على قيود وصعوبات هذه الحياة الدنيوية من خلال المخيلة وحسب، الإله في السماء هو كل ما يحتاجه

---

[1] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، ص 312

القلب ويرغب فيه، الإله هو مجموع كل الأشياء الخيرة والبركة، الخلاص والحب والبركة والتوفيق كلها في الإله"[1].

وهنا نلحظ أن فويرباخ اعتبر الدين المسيحي، عدواً للثقافة، للعلم، والعقل أيضاً. فهدف الثقافة هو تحقيق الجنة على الأرض، ولكن هدف الدين المسيحي هو الجنة الدينية والتي تتحقق بالعبادة. وهي بالنسبة لفويرباخ أمر خيالي وغير حقيقي، فبالنسبة له كل أمر خارج عقولنا ويتجاوز فهمنا فإننا ننسبه لله دونما تفكير، كوجود الإله من العدم، وقدرته على الخلق، فكل شيء لا نستطيع إثباته ننسبه للإله.

يعتبر فويرباخ أن الدين لا يمتلك تصوراً مادياً للعالم؛ إنه لا يمتلك أدنى اهتمام بتفسير طبيعي، فرغم اهتمام فلاسفة الإغريق بأصل الأشياء، إلا أن الوعي الديني المسيحي اعترض على جميع العلوم الدينية، فكل شيء ممتد من الإله، واعتبر أن سؤال كيف خلق الله العالم، هو سؤال شكي يوجه الإنسان إلى الإلحاد والمادية والطبيعية[2].

نستنتج من ذلك، أن فويرباخ اعتبر الإيمان بإله مناقض لطبيعة الإنسان سببه أن الدين يعتمد على الخيال والأساطير في معتقداته، فمن الخيال نتجت فكرة الإله، والمتدين يعوض نقصه من خلال الإيمان بإله، بجنة، بأمور لا يمكنه الحصول عليها. ولذلك تحدث فويرباخ عن الثقافة وبناء الحضارة، فهو يعتقد بأن الإنسان المتدين سعيد في خياله، الذي يعده بجنة، وبإله يحفظه

---

[1] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، ص 312.

[2] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، ص 315.

ويحميه من المخاطر، وبالتالي لا يمكن للمتدين أن يبني حضارة. لأن تفكيره معطل، ويعتبر بأن السؤال في أصل الكون والتفكر فيه هو خطيئة.

فالمسيحية بالنسبة لفويرباخ لم تسع لبناء حضارة، كما فعل فلاسفة الإغريق، الذين بحثوا في أصل الوجود ودلالة الخلق، فالمسيحية في مسألة الخلق، أعادت الأمر إلى العدم؛ أي أن الله خلق العالم من العدم، وهذا بالنسبة لفويرباخ هو نتاج الخيال، وتفسير الظواهر بالأساطير. في حين أنه كان يجب تفسير الخلق والوجود والعالم وفق قوانين الطبيعة والعلم، خاصة بأن العلم في القرن التاسع عشر، طور عدة نظريات حول الخلق ونظريات التطور.

ويرى فويرباخ أن المسيحية وضعت تفسير الخلق بصورة أقرب للأسطورة. لضرورة التمييز بين عمل الإنسان وعمل الله فتم تصور الخلق من عدم لنفي أي تشابه أو تماثل بينهما. واعتبر فويرباخ أن توليد الابن من الآب بشكل خارق للعادة والطبيعة هو أمر ضد العقل وضد الطبيعة.

4- التناقض في النظرة التأملية لله:

ينص مبدأ التأمل الهيغلي على أن الإله موجود، والإنسان يدرك وجود الإله بوعيه الخاص، وبالتالي فإن وعي الإنسان للإله هو الوعي الذاتي للإله، أي أن الإله موجود من خلال الإدراك الإنساني له، ومن ثم فإن معرفة الإنسان بالإله هي معرفة الإله لنفسه[1].

[1] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، ص323-328.

إلا أنه بالنسبة لفويرباخ تناقض كبير وغير مقبول، والحقيقة بالنسبة لفويرباخ هي "معرفة الإنسان بالإله هي معرفة الإنسان بنفسه، بطبيعته الخاصة"[1] لأن شخصية الإله عند فويرباخ تتكون نتيجة لتحويل الإنسان صفاته الخاصة إلى صفات لكينونة أخرى متخارجة عنه.

ولنلخص الأمر، يعترف هيجل بأن الإله موجود، ولكنه موجود بالصفة أو بالشكل الذي يدركه الإنسان فيها، فإذا فكر الإنسان بالإله على أنه كريم، فإذا الإله كريم، وإذ فكر به على أنه إله ظالم، فإذا الإله ظالم، فيقوم هيغل بهذه النظرية بالتوحيد وبالفصل بين الإله والإنسان، هو يوحد الوعي ولكن يبقي على جانب الانفصال، والتمايز بين الكينونة الإلهية والكينونة الإنسانية.

ولكن فويرباخ لا يؤمن بوجود إله، إذاً بالنسبة له فإن الإنسان مهما فكر وأدرك بوعيه، صفات الكينونة المتخارجة عنه، فإن كل ما فكر فيه وأدركه هو كينونته الخاصة. لذلك فهو يقول: "إذا كانت الصفات الإلهية بشرية، فالصفات الإنسانية إلهية"[2].

يقول فويرباخ: "فقط عندما نتخلى عن فلسفة الدين، أو اللاهوت، والذي هو متمايز عن علم النفس والأنثروبولوجيا، ونعتبر الأنثروبولوجيا بذاتها على أنها لاهوت، نصل إلى هوية حقيقية"[3].

إذاً؛ يكمن التناقض في النظرة التأملية لله، في تغرب الوعي البشري وتفكيره في إله خارج عنه، بالنسبة لفويرباخ الإنسان هو إله، فمعرفة الإنسان بالإله هي معرفة الإنسان بنفسه، بطبيعته

---

[1] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، 328.

[2] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، 328.

[3] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، 329.

الخاصة. فمثلاً أنا أعرف أن الله كريم، بالنسبة لفويرباخ هذا تغريب للوعي، والحقيقة بأن الإنسان هو كريم، مثلاً: أنا اعرف بأن الله رحيم، والحقيقة بالنسبة لفويرباخ أن الإنسان هو الرحيم.

ولذلك يدعو فويرباخ لتبني الأنثروبولوجيا عوضاً عن اللاهوت، باعتبار أن الإنسان يُغرب عن هويته إذا اعتقد بإله خارج عن كينونته البشرية. فمن خلال الأنثروبولوجيا نصل إلى هوية حقيقية.

5- التناقض في الثالوث:

بالنسبة لمارتن لوثر فإن المسيحية تؤمن بالإله الحقيقي الواحد، وهو إله مثلث الأقانيم، الآب والابن والروح القدس، هي ثلاثة أقانيم متميزة ومتحدة في جوهر الهي واحد (الثالوث الأقدس). ويعتقد المسيحيون البروتستانت بأن الابن كان مع الآب منذ الأزل، فهو مولود من الآب قبل كل الدهور والروح القدس منبثق من الآب والابن منذ الأزل. فعمل الخلق يعود إلى الله الآب، وعمل الفداء يعود إلى الابن والتقديس يعود إلى الروح القدس[1].

بالنسبة لفويرباخ فإن فكرة الثالوث تتضمن في ذاتها التناقض بين تعددية الآلهة والتوحيد الإلهي، بين المخيلة والعقل، المخيلة تعطي الثالوث، العقل يعطي وحدة الأقانيم[2].

---

[1] الوثر، **أصول التعليم المسيحي الكتاخيسمس الصغير**، ص 53.

[2] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، ص 325

فبالنسبة للعقل، الأقانيم الإلهية هي أشباح، وبالنسبة للمخيلة هي وقائع، إذاً فإن فكرة الثالوث تطالب الإنسان، بأن يفكر عكس ما يتخيل ويتخيل عكس ما يفكر، أنه يجب أن يظن الأشباح حقائق.

وهنا يُخضع فويرباخ عقيدة الثالوث للعقل والمنطق، يقول: "فإذا كان الثالوث يعني ثلاثة أقانيم متمايزة جوهرياً، فبإمكاننا تصور ثلاثة أشخاص بل أكثر متطابقين في الجوهر، فالإنسانية واحدة، ويشكلون من خلال الحب شخصية معنوية واحدة إلا أن الوجود المادي منفصل ومستقل[1]. ولكن الأمر مختلف في الإله؛ فالأقانيم الثلاثة في الإله ليس لها وجود خارج بعضها البعض[2].

ينطلق فويرباخ من منطلقه الإنسانوي، لتفسير عقيدة الثالوث المسيحية، فهو يحاول مقارنة الثالوث بالعنصر البشري، فيقول إذا اعتبرنا المجتمع البشري المكون من عدة أشخاص، متطابقين في الجوهر، فجميعهم يحملون مشاعر الحب، فإذاً هذه الجماعة تمثل شخصية معنوية واحدة. ولكن بالعودة إلى المسيحية فإن عقيدة الثالوث تخبرنا، بأنه لا تطابق بين الأقانيم الثلاث، فهي متميزة ومتحدة في آن واحد، وهنا يكمن التناقض بالنسبة لفويرباخ.

وفي محاولة لفهم عقيدة التثليث، عقد فويرباخ مقارنة بين آلهة الأوليمب[3]، وبين الثالوث المسيحي، يقول فويرباخ: "كانت آلهة الأوليمب أشخاصاً حقيقيين، على الرغم من أنهم كانوا واحداً في الجوهر، أي الألوهية؛ كان لديهم سمات شخصية مختلفة، لكن كل واحد منهم كان بالتأكيد

---

[1] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، ص 330

[2] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، ص 332

[3] ذُكرت آلهة الأوليمب في الأساطير الإغريقية، وعددهم اثنا عشر آلهة، سُميَ هؤلاء الآلهة أولمبيين، لأنهم حسب الأسطورة كانوا يعيشون في جبل الأوليمب وهو أعلى جبل في اليونان. المصدر: ويكيبيديا

إلهاً، متشابهين في الألوهية، مختلفين كذوات أو أشخاص موجودين؛ كانوا شخصيات إلهية أصلية[1].

ويضيف "أما بالنسبة للأقانيم الثلاثة في المسيحية، فهم فقط أشخاص وهميون، مزعومون، يختلفون عن الأشخاص الحقيقيين، فقط بأنهم سرابات، ظلال لأشخاص، في حين أنه من المفترض أن يكونوا أشخاصاً حقيقيين"[2].

بجانب نقد الطبيعة المناقضة للإله، واعتبارها هي ذاتها الطبيعة البشرية، فقد قام فويرباخ بنقد طبيعة الأقانيم في الثالوث المقدس، وكذلك توحدها، فأن تنفصل هذه الأقانيم وأن تعتبر ثلاثة أشخاص منفصلة تربطهم علاقات هي علاقات إنسانية بنظر فويرباخ، أمر منطقي أكثر من توحدها.

لا يُموضع الدين أو اللاهوت ماهية الإنسان أو الله فقط، باعتباره موجودا شخصياً، بل يعطي أيضاً تحديدات أساسية لهذه الماهية في أشخاص. فالتثليث ليس إلا مجموع الفروق الجوهرية الأساسية التي يراها الإنسان في ماهيته. وهي تماثل التحديدات في الشخصية الإلهية. فتغترب الشخصية الإنسانية عن ذاتها بإدخالها هذه التحديدات في الشخصية الإلهية[3].

---

[1] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، ص 332.

[2] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، ص 333.

[3] حنفي، حسن، **دراسات فلسفية**، ص 205.

6- التناقض في الأسرار الإلهية:

يؤمن المسيحيون البروتستانت بأن هناك سرين مقدسين فقط هما، سر المعمودية وسر العشاء الرباني[1]. ويُقصد بسر المعمودية، هو الاغتسال بالماء باسم الآب والابن والروح القدس، كما ورد في الإصحاح الأخير من انجيل متى "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس".

ويعتقد المسيحيون البروتستانت بأن المعمودية تعمل على غفران الخطايا، وتمنح الخلاص الأبدي.

أما السر الثاني المقدس فهو سر العشاء الرباني، ويُقصد به جسد ودم يسوع المسيح الحقيقيان، وقام بتدوين هذا السر متى، مرقس لوقا وبولس الرسول كما يلي[2]:

"إن الرب يسوع في الليلة التي أُسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر وأعطى تلاميذه وقال، خذوا كلوا، هذا هو جسدي المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكري. كذلك أخذ الكأس أيضاً بعد العشاء فشكر وأعطاهم إياها قائلاً، اشربوا منها كلكم. هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يُسفك عنكم لمغفرة الخطايا. اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري".

بالنسبة لفويرباخ فإن تناقض الأسرار المقدسة يكمن في إعطاء ماء المعمودية خاصية فوق الطبيعة، وكذلك الخبز والخمر في العشاء المقدس، "فكما تحولت من قبل ماهية الإنسان وتشخصت

---

[1] لوثر، **أصول التعليم المسيحي الكتاخيسمس الصغير**، ص147.

[2] لوثر، **أصول التعليم المسيحي الكتاخيسمس الصغير**، ص 153.

في الله. يتحول الماء من ماء طبيعي إلى ماء فوق طبيعي. وكما يوقعنا الدين في اغتراب عن ماهيتنا الخاصة وكما نغترب عن ذواتنا يغترب الماء عن ذاته ويتم ذلك أيضاً بفعل الخيال"[1].

يطرح فويرباخ المياه المعمودية كمثال على الأسرار المقدسة التي تجعل الطبيعة أساساً لها، إلا أن فحواها يتناقض مع طبيعته فهي مياه عادية وطبيعية، ومثلما يُغرب الدين طبيعتنا عنا، ويمثلها كما لو أنها ليست طبيعتنا. كذلك فإن مياه المعمودية تُعتبر مختلفة تماماً عن المياه العادية، فهي تنقي الإنسان من الخطيئة الأصلية، ويُصالح مع الإله.[2]

يعتبر فويرباخ أن المخيلة الدينية هي التي تنسب للماء الطبيعي خواصاً وآثاراً تفوق الطبيعة، وكذلك في العشاء المقدس، ففي تحويل الخبز إلى جسد، والخمر إلى دم المسيح، اغتراب عن الماهية الطبيعية لكل من الماء، الخبز، والخمر.

"فالإيمان بقوة الخيال التي تحول الواقع إلى لا واقع، واللا واقع إلى واقع، هو ما يعارض شهادة الحس وبرهان العقل. يُنكر الإيمان ما يُثبته العقل، ويُثبت ما يُنكره العقل"[3]. فالعشاء الرباني هو لا شيء دون حالة ذهنية معينة هي الإيمان.

يقول فويرباخ: "حيثما يضع الدين ذاته في تناقض مع العقل، فهو يضع ذاته أيضاً في تناقض مع الحس الأخلاقي، فقط مع شعور الحقيقة يتعايش شعور الحق والخير، ففساد الفهم هو فساد للقلب، السفسطة تفسد الإنسان برمته، ومذهب العشاء الرباني هو سفسطة"[4].

---

[1] حنفي، حسن، **دراسات فلسفية**، ص 205.

[2] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، ص 336.

[3] حنفي، **دراسات فلسفية**، ص 206.

[4] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، ص 347.

بالنسبة لفويرباخ فإن المعمودية والعشاء الرباني هي أسرار مبنية على الخيال، فهي أسرار غير حقيقية اتخذت من المعجزة وسيلة لتفسيرها، وبالنسبة لفويرباخ فإن كل شيء لا يمكن اخضاعه لمنهجه الحسي التجريبي فهو محض خيال، فكيف يمكن اخضاع ماء المعمودية للتجربة والتأكد بأنه يحمل خواص تفوق الطبيعة؟

كذلك فإن الإيمان بالمعجزة واللا حقيقة، هو أمر يؤدي إلى فساد العقل، والقلب، فالسفسطة بالنسبة لفويرباخ ستؤدي إلى اللا أخلاقية. فإن فويرباخ لا يثق بشخص يؤمن بمعجزات تفوق الطبيعة، والحس والتجربة. لأن هذا الإنسان قام بتعطيل عقله، وقلبه، عن التفكير وعن الشعور.

7- تناقض الإيمان والحب:

بالنسبة لمارتن لوثر فإن المحبة هي أعظم وصايا المسيحية، وبالمحبة يتحقق الإيمان، "أيها الأحبَّاءُ، لنُحبَّ بعضنا بعضًا، لأن المحبة هي من الله، وكل مَنْ يُحب فقد وُلِدَ من الله ويَعرفُ الله. ومَنْ لا يُحب لم يَعرِف الله، لأن الله محبة"[1]. فالمحبة أمرٌ لازم لمعرفة الله.

ولكن بالنسبة لمذهب فويرباخ الأنثروبولوجي، ففي علاقة الإنسان بأخيه الإنسان لا بد أن تكون المحبة شرطاً أساسياً لهذه العلاقة، ولكن ما ينقده فويرباخ في هذه القضية، هو جعل المسيحية الإيمان بعقيدة المسيح كشرط للمحبة، وخص المحبة لأتباع المسيح، وكل من لا يوافق هذه العقيدة، فهو يستحق الكره والبغض والتجاهل.

---

[1] العهد الجديد: رسالة يوحنا الأولى، الإصحاح 4، فقرة 7 وفقرة 8.

ووفق مقولة فويرباخ في الاغتراب فإن الإيمان بإله ينتج في الإنسان انشقاقاً داخلياً، واغتراباً عن ماهيته، أما في الحب الذي يصفه فويرباخ بالحب الإلحادي فهو ينفي من الناحية النظرية والعملية وجوداً لإله معين وفردي معارض للإنسان. فالحب يجمع بين الإنسان والإنسان، ويعيد الرباط الاجتماعي الذي حله الإيمان المناقض للعقل والأخلاق.

يقول فويرباخ: "في الحب يمتلك الإنسان الإله في نفسه: أما الإيمان يجعل الإنسان إلهه خارج نفسه". ويضيف: " كل أهوال التاريخ الديني المسيحي، إنما انبثقت فعلياً عن المسيحية، لأنه انبثقت عن الإيمان. فالإيمان يزعم لنفسه فقط ما هو خير، وكل ما هو شرير يلقيه على كاهل اللا اعتقاد".

يعتبر فويرباخ أن المسيحية احتكرت الحب والخير للمسيحيين فقط، أن تكون مسيحياً يعني أن تكون محبوباً من قبل الجميع، وألا تكون مسيحياً يعني أن تكون مكروهاً من قبل الجميع، فالمسيحي يقع في الخطيئة إن أحب أعداء الله. وبذلك فإن الإيمان مناقض للحب بالنسبة لفويرباخ[1].

ويرى فويرباخ أن الإنسان عندما يؤمن بإله أعلى منه، فإنه يضع واجباته اتجاه الإله بمكانة أعلى وأهم من واجباتها اتجاه البشرية، وبذلك تصطدم واجباته اتجاه الإله مع الواجبات الإنسانية المشتركة. يقول فويرباخ: "ليس الملحد الحقيقي من ينكر الله، بل هو ذاك الذي لا تكون الصفات الجوهرية كالحب والحكمة والعدل، شيئاً بالنسبة إليه"[2].

---

[1] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، ص 353.

[2] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، ص 348- 372.

ويعتبر فويرباخ أن الإنسان المتدين يفعل الخير ليس لأجل الخير في ذاته، ليس لأجل الإنسان بل لأجل الإله، فالمتدين يهجر الخطيئة لأنها تجرح الإله مُخلِصه والمحسن إليه، وليس من أجل الإنسانية.

لقد تحدثنا سابقاً عن الفترة التي عاش بها فويرباخ في ألمانيا، حيث كانت ألمانيا لا زالت تتعافى من آثار الحرب بين الكاثوليك والبروتستانت، ونرى تأثير النزاع الطائفي المسيحي على تفكير فويرباخ بشكل كبير في هذه القضية بالتحديد.

فقد تحدث فويرباخ في هذه القضية عن الإيمان واعتبره بأنه أناني؛ لا يبحث إلا عن خلاص المؤمنين، واعتبره بأنه كراهية فمن ليس مسيحياً لا يستحق الخلاص أو الحب، واعتبر أن الإيمان يقضي على العلاقات الإنسانية وهو السبب في الحروب الدينية والمذابح الطائفية واضطهاد الفرق المخالفة في الرأي[1].

وفي النهاية فقد نسب فويرباخ للإيمان جميع الصفات السلبية، فالإيمان بالنسبة إليه هو تعصب، سعادة وهمية، وطائفية. وهو نقيض الحب تماماً، أما الحب الذي يدعو إليه فويرباخ، فهو الفضيلة الأولى، وهو الذي يوحد البشرية، وفيه اجتمعت كل الأخلاق الحسنة. فالإيمان اغتراب لا يقضي عليه إلا الحب[2]

---

[1] حنفي، **دراسات فلسفية**، 207.

[2] المرجع السابق، ص207.

وفي ختام هذا المطلب، فقد أظهر فويرباخ أن مادة الدين وهدفه بشريان بالكامل؛ وأن الحكمة الإلهية هي حكمة بشرية؛ وأن سر اللاهوت لا يعدو كونه أنثروبولوجيا. ويعتبر فيورباخ أن الدين لا يعي أن عناصره بشرية؛ على العكس من ذلك، إنه يضع ذاته في موقع معارض للبشري، أو أنه لا يعترف على الأقل أن عناصره بشرية.

يقول فويرباخ: "من المهم الاعتراف بأن وعي الإله ليس غير وعي الإنسان، وأنه ليس ثمة جوهر آخر يمكن للإنسان التفكير به، وعبادته بوصفه المطلق، غير جوهر الطبيعة البشرية بالذات". وقد قدم من خلال نقد القضايا السبعة سابقة الذكر، رؤيته الأنثروبولوجية للدين. ومن خلالها يمكننا وضع عدة مبادئ قامت عليها فلسفة فويرباخ الإنسانية.

1- اعتبار الإله بأنه طبيعة الإنسان منظوراً إليها بشكل موضوعي.

2- اعتبار الإيمان مناقضاً للعقل، ومعطلاً للفكر الإنساني والمنطق.

3- كتبعية لمناقضة الإيمان للعقل، فإن الحس الأخلاقي لدى الإنسان يتأثر، بسبب تعطيل فكره واستعداده لقبول المعجزات الدينية. فالإيمان مناقض أيضاً للأخلاق.

4- المعجزة هي وليدة المخيلة الدينية، والمخيلة الدينية هي الفاعلة الأولى للدين، فكل ما هو وهم يصبح واقعياً، وكل ما هو واقعي يصبح وهماً.

5- الإيمان يولد الكراهية، ويجعل الحب تحت سلطان الإيمان، فالمسيحي يحب المسيحي، أما أعداء الله، فلا يستحقون الحب.

6- احتكار المسيحية للحب والتضحية لأجل الإله، وكذلك فعل الخير للحصول على الخلاص، وبالتالي وضع الواجبات الإلهية، فوق مرتبة الأخلاق الإنسانية والترابط الاجتماعي.

7- بالنسبة لفويرباخ فإن الحب يجمع بين الإنسان والإنسان، فهو حب حتمي وضروري للترابط الاجتماعي. وكذلك فإن الامتنان وإرسال نذور الشكر تكون للإنسان، ليس للإله. كما تعتقد المسيحية.

المطلب الثالث: نفي الاغتراب الديني وقهره في فلسفة فويرباخ

انطلق فويرباخ في تأسيس فلسفته الأنثروبولوجية، من مفهوم الاغتراب الديني، فقام من خلاله بعرض التناقضات في العقائد المسيحية، ونقد الدين المسيحي، باعتبار أن موضوع الدين المسيحي ومضمونه إنساني كلية، وأن سر الثيولوجيا هو الأنثروبولوجيا؛ فالدين بالنسبة لفويرباخ ليس على وعي بالطبيعة الإنسانية بل يعارض كل ما هو إنساني.

ولذلك فإن هدف فلسفة فويرباخ الإلحادية، هو الإنسان، متخذاً من المنهج الحسي أداة للتأكيد على أفكاره، وبناء أفكار جديدة تقوم على حقائق مادية، تخدم الإنسان وحده.

ولذلك قام فويرباخ بإرساء أربع قواعد رئيسة، كفيلة بنفي الاغتراب وإعادة الإنسان لذاته، وهي كالتالي:

أولاً: نفي اللاهوت والدين

أن تؤمن يعني أن تغترب، بالنسبة لفويرباخ فإن الدين هو سبب اغتراب الذات الإنسانية، وكذلك اللاهوت بتشريعاته غير المنطقية، كانت سبباً في اغتراب وعي الإنسان وشقائه، ولذلك وجه فويرباخ سهام نقده للدين، آملاً أن ينفي الاغتراب بنقده للاهوت، ويستعيد بذلك ذات الإنسان المغتربة.

يقول فويرباخ: "لسنا في حاجة إلى شريعة الدولة المسيحية بل في حاجة إلى شريعة الدولة العقلية العادلة الإنسانية."

إذاً فقد نفى فويرباخ الدين كوسيلة لصلاح العيش وصلاح الذات الإنسانية، وكان مشروعه العلماني هو البديل الذي يرتكز على الإنسان، وقدرته على وضع قانون تشريعي وأخلاقي غير إلهي، يتناسب مع واقعه المعاش.

يُعبر فويرباخ عن كتاباته، بأن كل ما فعله هو فقط كشف لسر الدين المسيحي، وإظهار زيف اللاهوتيين، فهو يرى بأن الدين الحقيقي هو الذي يؤله الإنسان، وهذه هي حقيقة الدين المسيحي.

يقول فويرباخ: "إذا كان عملي لا يحتوي غير الجزء الثاني فقط، فسوف يكون من المسوغ تماماً اتهامه بميل سلبي، فالإله عدم، والثالوث عدم، وكلمة الإله عدم، فأنا أبين أنهم ليسوا فقط ذلك الذي تصنعه منهم أوهام اللاهوت، ليس أسراراً غريبة بل هي أسرار الطبيعة البشرية؛ أبين أن

الدين يعتبر ما هو ظاهري، سطحي في الطبيعة الإنسانية بوصفه الأساسي، ومن ثم يتصور جوهرها الحقيقي على أنه وجود خاص"[1].

فالخمر والخبز ليسا إلا في التمثل والخيال، والدين واللاهوت يتعاملان مع الوهم والخيال ولا يتعاملان مع الواقع والحس. فالخبز يعني الطعام، والماء يعني الشراب، والعماد يعني الاستحمام. لا يهم الأصل الوثني لهذه الطقوس؛ بل المهم دلالتها بالنسبة للإنسان.

يعتبر فويرباخ أن مذهب التوحيد يقوم على الصراع بين الرأس والقلب؛ أما الدين الإنساني فإنه يمثل إلغاء الصراع من دون صراع. فالدين الإنساني هو القلب مرفوعاً إلى مستوى العقل؛ وهو يعبر فقط في الرأس، وبطريقة عقلانية، عما يقوله القلب بطريقته الخاصة، أي عن نفي الله وإذابته في الإنسان. إذاً فالفلسفة الجديدة هي، بوصفها نفياً للاهوت الذي ينفي حقيقة العاطفة الدينية، هي موضعة الدين؛ الدين الإنساني هو الدين الواعي ذاته، الدين الذي يفهم نفسه[2].

بالنسبة لفويرباخ فالإله مثله مثل الإنسان. ولكن اللاهوتي يرفض هذا التوحيد بين الله والإنسان، ويعطي لله ما يسلبه عن الإنسان ويعطي للإنسان ما يسلبه عن الله. وهذه سرقة وظلم للنفس. وبالتالي يكون الدين تجريداً للإنسان واغتراباً عنه وتزييفاً له. لذلك وجب نفي الدين واللاهوت، لإعادة ذات الإنسانية المغتربة.

---

[1] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، ص46..

[2] ارفون، **فيورباخ**، ص96.

ثانياً: مركزية الإنسان

بعد نفي الدين واللاهوت، ما الذي يمكن أن يقدمه فويرباخ للإنسان لتحقيق سعادته، وحريته؟ لقد قدم فويرباخ للإنسان، الإنسان الكامل. بالنسبة لفويرباخ، فقد تغرب الإنسان عن ذاته وصفاته الكمالية، ليضعها في قوة عليا وهمية، وحان الوقت لاستعادتها داخل ذاته والإيمان بجوهره المتكامل.

وقد بين فويرباخ في مقدمته للمجلد الأول من أعماله الكاملة الذي نُشر عام 1846، أن الإنسان هو مهمته الأولى بقوله: "إن المشكلة اليوم ليست في وجود أو عدم وجود الله، إنما وجود الإنسان أو عدم وجوده، ليست المشكلة ما إذا كانت طبيعة الله مشابهة لطبيعتنا ولكن ما إذا كنا نحن البشر متساوين فيما بين أنفسنا. وليس ما إذا كنا نشترك في جسد المسيح باعتبار أننا نأكل الخبز ونشارك في عقيدة التناول ولكن ما إذا كان لدينا خبز يكفينا، ليس ما إذا كنا نعطي ما لله لله، وما لقيصر لقيصر، ولكن ما إذا كنا نعطي للإنسان ما للإنسان، ليس ما إذا كنا مسيحيين أو وثنيين، مؤلهين أو ملحدين ولكن ما إذا كنا آدميين أو سنصبح آدميين نتمتع بصحة الروح والبدن والحرية والنشاط والحيوية، إن من يتحدث عني كملحد لا يقول ولا يعرف عني شيئاً، ليس مهمة إنكار وجود الله هي ما يعنيني وإنما هو مشكلة عدم وجود الإنسان"[1].

ويعتبر فويرباخ أن مهمة الأزمنة الحديثة هي تأنيس الله وجعله واقعياً، أي تحويل ورد الثيولوجي إلى أنثروبولوجي[2]. لذلك اعتمد فويرباخ على كتابات لوثر وتطوير المصادر

---

[1] عطية، أحمد عبد الحليم، **الإنسان في فلسفة فويرباخ** (القاهرة: مؤسسة مجاز الثقافية، 2019) ص18.

[2] ludwig Feuerbach, **principles of philosophy of the future**, 1843 translated by Zawar Hanfi, 1972, page4

البروتستانتية، الي اهتمت "بالإله من أجل الإنسان" فتحولت من ثيولوجيا تأملية إلى أنثروبولوجيا مسيحية[1].

لقد أنكر فويرباخ تحويل الدين لماهية الإنسان إلى ماهية خارجية تعلو عليها وتتمايز عنها، ولذلك اعتبر أن مهمته الأولى هي إعادة الله أو الدين إلى أصلهما الإنساني، وإحلالهما في الإنسان نظرياً وعملياً[2].

فالله بالنسبة لفويرباخ هو انعكاس لذات الإنسان، وفي الله يحتفظ الإنسان بكل الصفات والسمات المحببة والمقدسة. ولذلك أراد فويرباخ إعادة ذات الإنسان المقدسة والتي فيها جميع الصفات الإيجابية.

لقد أحل فويرباخ الإنسانوية مكان الإيمان، والعقل محل الإنجيل، والسياسة محل الدين، والأرض محل السماء. وبذلك سيكون الإله الحقيقي هو الإنسان، وبالتالي الإنسان هو إله الإنسان homo homimi deus[3].

فقد أنكر فويرباخ أن يكون للمسيح أي كيان مغاير للإنسان، أو أي وجود متعالٍ عليه، فالإيمان ليس إلا إيمان الإنسان بنفسه.

يقول فويرباخ: "الله هو الكائن الذي يحقق أماني البشر ويشبع حاجات الإنسان أياً ما كانت طبيعتها، هل أنت تشفي المريض؟ هل تشبع الجائع؟ إذاً أنت تكون بالنسبة له رجلاً خيراً،

---

[1] Ibid, p: 5.

[2] عطية، **الإنسان في فلسفة فويرباخ**، ص 208.

[3] عطية، أحمد عبد الحليم، **الإنسان في فلسفة فويرباخ** (القاهرة: مؤسسة مجاز الثقافية، 2019) ص209.

وبلغة شاعرية تكون له إلهاً، لأن من يصنع سعادة الإنسان يسميه مادحاً إلهاً، وعلى ذلك يكون الإنسان هو الإله الأعلى للإنسان"[1].

لقد أعلى فويرباخ من شأن الإنسان بالشكل الذي أنساه أنه مهما بلغ الإنسان من القوة والعلم فإنه سيبقى ضعيفاً أمام قدرة الله وكونه الفسيح، وقد اعترف سورين كيركغورد بأن حقيقة الإنسان لا يمكن فهمها من خلال أي منظومة فلسفية. وسبقه بذلك بليز باسكال في حديثه عن الضعف البشري. فنجد في خواطر باسكال حديثه عن شقاء الإنسان وضعفه دون الله ويقول "لو درس الإنسان نفسه أولاً لتبين له كم هو عاجز عن مجاوزة هذا الدرس، كيف يمكن للجزء أن يعرف الكل؟"[2].

فإذا مرض الإنسان شعر بضعفه، وإذا أصابته مصيبة شعر بعجزه، وإذا جاءه الموت شعر بمحدوديته، وليس له في كل هذه الأمور سوى الله، يلجأ إليه ليعافيه من مرضه، وينجيه من مصيبته، ويرحمه إذا حل موته.

ثالثاً: الحسية

اعتبر فويرباخ أن الإنسان يمثل الموضوع الحقيقي للفلسفة، أي أن مهمة الفلسفة الأولى والأخيرة هي التركيز حول الإنسان، سعادته وغايته وأهدافه، ولذلك قام فويرباخ بنقد الدين، لهدف واحد فقط، وهو تحرير الإنسان من اغترابه الديني، وتتمثل إعادة الإنسان لماهيته الحقيقية، بتخليه عن الدين وأوهام اللاهوت وخيالاته.

---

[1] عطية، **الإنسان في فلسفة فويرباخ**، ص210.

[2] باسكال، بليز، **خواطر**، ترجمة أدوار البستاني (بيروت: اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، 1972). ص31

إذاً كيف أعاد فويرباخ للإنسان ماهيته؟ عن طريق المنهج الحسي، فمن خلال الحواس يمكننا أن نلمس أنفسنا، وأن نشعر بالإنسان فينا، وأن نفهم ماهيتنا بحِسِنا الداخلي، دون الحاجة للدين أو اللاهوت.

يقول فويرباخ مخاطباً الإنسان: "في كل مجال وحتى في مجال نقد وتاريخ الفلسفة ها أنت قد أبرزت طريقة في الرؤية وفي العرض محسوسة ملموسة في كل مجال ربطت ما كان مجرداً بما كان محسوساً، وما لم يكن محسوساً بما هو محسوس. وما كان منطقياً بما كان أنثروبولوجيا، في الماضي كنت تعتقد بأن الحقيقي ينبغي أن يكون حاضراً وواقعياً، ومحسوساً، ومحدوساً وإنسانياً، والآن ها أنت تقول في انتظام منطقي معاكس أن الواقعي والمحسوس والإنساني هي وحدها التي تشكل الحقيقي"[1].

إذاً فإن الطريق الوحيد للوصول إلى الحقيقة، لا يمر عبر أوهام اللاهوت وخيالات الدين، وإنما فقط بالحس والتجربة يمكننا معرفة الحقيقة.

يقول فويرباخ: "إنني اختلف مع هؤلاء فلاسفة الدين يقتلعون عيونهم من محاجرها حتى يتمكنوا من الحصول على رؤية أفضل يصفونها بأنها عقلية. ذلك لأنني احتاج إلى الحواس لتكوين أفكاري وخاصة حاسة الرؤية، وقد بنيت أفكاري على أسس **مادية** لا تعرف إلا من خلال نشاط الحواس"[2].

---

[1] عطية، **الإنسان في فلسفة فويرباخ**، ص62.

[2] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، ص42.

اعتبر فويرباخ أنه من خلال الحواس، يمكننا تكوين معرفة حقيقية واقعية وبمعنى أوضح "مادية"، والمادية هي القاعدة الثالثة التي وضعها فويرباخ لنفي اغتراب الإنسان عن ذاته، فعندما يؤمن الإنسان بأن الدين وهم، وأن وجوده الحسي المادي هو الحقيقة الوحيدة. حينها فقط يستعيد ذاته من جديد.

بالنسبة لفويرباخ، فإنه لا يمكن إدراك العالم الخارجي إلا من خلال الحواس، والحواس تدرك ما هو مادي فقط، فهل يمكن للحواس أن تدرك الإله؟ بالطبع لا، إذا فالإله وهم. وكل معرفة غير مادية هي مجرد وهم.

وبالتالي إذا كان الإنسان يبحث عن سعادته، وعن سلامه الداخلي، يجب أن يؤمن بما هو مادي، يستطيع لمسه، تجربته، والتحقق من وجوده.

وبالنسبة لفويرباخ فإن الكون يغدو واضحاً أمام العقل، والذي تمثل الحواس فيه كالنوافذ أو المسام التي تنقل للعقل المعرفة، فالفكر يجب أن يتفق مع الحواس.

إن موضوع فلسفة فويرباخ هي الأنثروبولوجية. وسعادة الإنسان هي غاية فويرباخ وغاية فلسفته. لذلك فإن فويرباخ يصف الإنسان بالكائن الأكثر حساسية في العالم. " فهو وحده الذي يستشعر سروراً سماوياً في تأمل النجوم، وهو وحده الذي في سبيل لذة البصر فقط، لا يمكن أن يشبع من بريق الحجارة الثمينة ومرآة المياه وألوان الأزهار والفراشات، وهو وحده الذي يسره سماع غناء العصافير ورنين المعادن وصفير الرياح وصوت الموسيقى وهمهمات الينابيع، إذاً الإنسان

ليس إنساناً إلا لأنه مختلف عن الحيوان ذي الحس المحدود، إنه حسي مطلق، لأن كل الأشياء المحسوسة، والعالم، واللا نهاية هي لذاتها، موضوع حواسه وأحاسيسه"[1].

هذا النص سوف يساعدنا للكشف عن القاعدة الرابعة والأخيرة في فلسفة فويرباخ لنفي الاغتراب وهي..

رابعاً: الطبيعة

اغترب الإنسان عن ذاته لأنه آمن بقوة عليا، جعلته يضفي عليها جميع الصفات العليا، وبقي هو ناقصاً، محتاجاً، ومغترباً. فكيف عالج فويرباخ اغتراب الذات الإنسانية؟ قام بنفي الدين واللاهوت، ارجع للذات الإنسانية جوهرها وقواها الثلاث، الإرادة، العقل والحب، ومن ثم دلها على الطريق الصحيح للوصول إلى الحقيقة من خلال منهج حسي ومادي، وأخيراً قام بتفتيح عينيها على الطبيعة. فماذا بوسع الطبيعة فعله لكي تزيل عن الإنسان اغترابه؟

ببساطة؛ يُريد فويرباخ من الإنسان أن يُرجع كل الظواهر الطبيعية، إلى العلوم الطبيعية والتطور العلمي، في الماضي ارجع الإنسان كافة الظواهر الطبيعية إلى الإله، فإذا أصاب الناس القحط، هذا يعني أن الإله غاضب، إذا أصابهم الغيث، هذا يعني أن الإله راضٍ عليهم، ولكن الآن فقد تطور العلم، وأصبح من المنطقي أكثر أن نقوم بتفسير الظواهر الطبيعية وفق دلائل علمية، وأيضاً وفق حقائق مادية.

---

[1] ارفون، **فيورباخ**، ص100.

يصف فويرباخ نفسه في مقدمة جوهر المسيحية بأنه فيلسوف طبيعي، فقد استحوذت الطبيعة على جزء كبير من كتابات فويرباخ، ولربما كانت حياته في الريف الدافع لتأمل الطبيعة بشكل أكبر، هذا التأمل جعل تصوره للطبيعة، ممزوجاً بالإنسان.

يقول فويرباخ: "هذه المراعي الخضراء الجميلة هي الطبيعة والإنسان، إذ أن الاثنين واحد، تأملوا الطبيعة تتأملون الإنسان وتجدون أسرار الفلسفة أمامكم"[1].

يُعرف فويرباخ الطبيعة على أنها "كل القوى والأشياء والكائنات المحسوسة التي يميزها الإنسان عن نفسه، فالطبيعة هي كل ما هو مستقل عن الإيحاءات فوق الطبيعية للإيمان الإلهي، كل ما يمثل أمام الإنسان مباشرة، بشكل حسي، بوصفه قاعدة وموضوع حياته، الطبيعة هي الضوء، الكهرباء، المغناطيس والهواء والنار والأرض والحيوان والنبات والإنسان بالقدر الذي هو فيه كائن فاعل بصورة لا إرادية، ولا واعي"[2].

يقول فويرباخ: " إني بكلمة طبيعة لا أطلب شيئاً آخر، شيئاً صوفياً غامضاً أو لاهوتياً".

يُنكر فويرباخ تأليهه للطبيعة، ولكن إذا كان مصدر الإنسان هو الطبيعة، والطبيعة علة ذاتها، فكيف يمكننا تفسير هذه المقولة سوى أنه مذهب لتأليه الإنسان والطبيعة معاً؟

---

[1] فويرباخ، لودفيغ، **جوهر الدين**، ترجمة نبيل فياض (بيروت: دار الرافدين، 2017) ص145.

[2] المرجع السابق، ص41.

وفي كتابه جوهر الدين، اعترف فويرباخ صراحة بهذا الاعتقاد، فهو يقول: "لقد اعترضوا على كتابي ماهية المسيحية بقولهم أن الإنسان في رأيي ليس تابعاً لشيء وأن في هذا ما فيه من عودة إلى تأليه الإنسان، ولكن الكائن الذي هو شرط مسبق للإنسان هو الطبيعة"[1].

ويقول فويرباخ في الفقرة 40 في كتابه جوهر الدين: "عندما يتخطى الإنسان المرحلة البدائية التي كانت تتحكم فيه العادات الطارئة وأصبح كائناً يقرر مصيره بناء على أسس وقواعد تتسم بالحكمة والعقل، عندئذ تظهر له الطبيعة، والعالم كشيء معتمد على فكره وإرادته متأثر بهما"[2].

وفي اعتماد الإنسان على الطبيعة قارن فويرباخ بين الإنسان في الشرق والغرب، فيقول: " في الشرق الطبيعة هي الغاية، ولكن في الغرب وسيلة، والطبيعة هناك تعلو على الإنسان في حين أنها هنا تخضع له، ولهذا السبب فإن الإنسان هناك يبدو غريباً بعيداً عن نفسه، أما الإنسان في الغرب متعقل ومركز على نفسه وواع بنفسه"[3].

يعتبر فويرباخ أن الإنسان في الشرق، يعبد الطبيعة، يؤله الشمس، القمر، والنجوم، وبذلك تصبح الطبيعة هي غاية الإنسان، بينما في الغرب هي وسيلة، فالإنسان في الغرب يستخدم الطبيعة ومصادرها لخدمته، ولتحسين جودة حياته، وبذلك فهو يطوع الطبيعة له.

---

[1] فويرباخ، لودفيغ، **جوهر الدين**، ترجمة نبيل فياض (بيروت: دار الرافدين، 2017) ص51.

[2] فويرباخ، لودفيغ، **جوهر الدين**، ترجمة نبيل فياض (بيروت: دار الرافدين، 2017) ص96.

[3] فويرباخ، لودفيغ، **جوهر الدين**، ترجمة نبيل فياض (بيروت: دار الرافدين، 2017) ص81.

ومن وجهة نظر فويرباخ فإن المؤمن يؤله الجهل عندما يحول الأسباب المادية للطبيعة إلى كائن خارق للطبيعة، فبالنسبة لفويرباخ الإيمان بإله يتحكم في الطبيعة، هو أمر يعكس غياب العقل، الذي يجعلنا نفترض أن كل شيء نجهله هو شيء عظيم.

ففويرباخ يُفضل إرجاع الظواهر الطبيعية لأسباب مادية وعلمية، وبالنسبة له فإننا عندما نكتشف قوانين الطبيعة سوف نضع حداً للمخيلة الدينية، التي اخترعت إله المطر، والنهر، والشمس. لذلك يعتقد فويرباخ أن الاعجاب بالحكمة الإلهية والطبيعة الدقيقة هو مجرد حماس طارئ، وهذا الاعجاب سينتهي عندما تُعرف قوانين الطبيعة بواسطة تطور العلم.

ونلخص القواعد التي أسسها فويرباخ في محاولته لعلاج الاغتراب الديني كالآتي:

- دراسة فويرباخ للدين كانت من وجهة نظر إنسانية فقد رأى أن الدين المسيحي هو أكثر الأديان تلاؤماً لوجهة نظره حول الإنسان وقدرته المغربة، إلا أنه لم يأخذ عن الدين المسيحي سوى تأليهه للذات الإنسانية في شخص المسيح، واعتبر أن كل إنسان هو بذاته إله[1].
- أنكر فويرباخ فكرة الإله المفارق لأنه وجود متوقف على اغتراب الإنسان فهو لا يمتلك وجوداً مستقلاً، وإنما يكتسب وجوده عندما يُغرب الإنسان ذاته عن ذاته ويموضعها، ومن ثم يعود من خلال وعيه باستعادة تلك الذات المغتربة.
- اختار فويرباخ الدين المسيحي، لأنه الدين الذي نُسبت فيه الصفة الإنسانية له حتى نهايتها، أي الدين الذي وهبت فيه الصفات الإنسانية لله، فالإله يتألم كما يتألم البشر ويغفر كما يصفح البشر[2]. أي لا وجود لصفات الإله ما لم تكن موجودة في الإنسان، فالله مثلاً يتصف بالرحمة، والإرادة، والبركة، فهذه الصفات بالنسبة لفويرباخ هي صفات إنسانية بحتة.
- يبرهن فويرباخ على أنه لا يوجد فرق بين الله ووجوده وبين الإنسان ووجوده، فالإله هو الإنسان ذاته، وابن الله في الدين سيكون ابناً حقيقياً، لأن الإنسان هو ابن الإنسان وبذلك

---

[1] النصراوي، **فلسفة فويرباخ المادية**، ص 123.

[2] ديب، **هيغل وفويرباخ**، ص197.

فالعلاقة الإلهية ما هي إلا علاقة إنسانية متعمقة. وأنكر فويرباخ على اللاهوتيين تفسيرهم لابن الله بطريقة مناقضة للعقل والطبيعة[1].

- اعتبر فويرباخ أن تصوراتنا الدينية هي تصورات بشرية استقلت بذاتها، وهذا هو الجوهر الحقيقي للدين، أما الجوهر المزيف للدين فقد تمثل باللاهوت، لاعتباره أن الإله شيئاً مفارقاً للمحسوس منزهاً عن التجسيد لا يعتمد في وجوده على الإنسان ورغباته، بل هو كائن له استقلاليته الوجودية.
- اعترض فويرباخ على رأي اللاهوتيين بشأن ثبات طبيعة الإله، فلو كان الإله ثابتاً ومنفصلاً عن طبيعة رغبات الإنسان وحركاته ونشاطاته فكيف على هذا الإله أن يستجيب لمجريات حياة البشر التي تتغير بين الحين والآخر، وكيف له أن يكون خالقاً لكل هذه المتغيرات من الرغبات الإنسانية، لذلك فقد حاول فويرباخ عزو كل صفات الإله إلى الإنسان.

---

[1] ديب، **هيغل وفويرباخ**، ص190.

المبحث الثاني: الآثار المترتبة على فلسفة فويرباخ في الاغتراب الديني

لقد أثرت فلسفة فويرباخ في الكثير من الفلاسفة الذين أتوا من بعده، وظهر هذا التأثير في كتاباتهم وفلسفتهم بشكل مباشر أو غير مباشر، ومنهم: سيغموند فرويد، نيتشه، مارتن بوبر، وأخيراً كارل ماركس وانجلز.

إلا أن تأثير فويرباخ كان واضحاً وبشكل كبير من خلال كتابات كارل ماركس ونيتشه، فقد تبنى الأول مصطلح الاغتراب عند فويرباخ وطبقه على اغتراب العمل في ظل الرأسمالية، والآخر تبنى فلسفة فويرباخ الأنثروبولوجية وانتج نظرية الإنسان المتفوق.

ولم يقتصر تأثير فويرباخ على الجانب الغربي فقط، فقد تأثر بعض من المفكرين العرب الحداثيين بأفكار فويرباخ الإنسانوية، والغريب أن أغلب من درس أو ترجم لفويرباخ لم يبد أي نوع من المعارضة أو النقد لأفكاره.

بل الأغرب من ذلك فقد قام البعض منهم بإسقاط آيات من القرآن على أفكار فويرباخ الإنسانوية والتي هي في ذاتها إلحادية. ومن أبرز من ترجم ودرس فويرباخ، الأستاذ نبيل فياض، الدكتور أحمد عبد الحليم عطية، حسن حنفي، ومحمود رجب.

وقد كان تأثر كل من محمود رجب وحسن حنفي بفلسفة فويرباخ واضحاً جداً، فقد قام كل منهما بتفسير عدة آيات قرآنية لتناسب ما قدمه فويرباخ من فلسفة إنسانوية وإلحادية بشكل مغلوط ومسيء للإسلام وعقائده الصريحة. كما سنبين لاحقاً في المطلب الثاني من هذا المبحث.

المطلب الأول: أثره في الفكر الغربي (كارل ماركس، نيتشه) نموذجاً

أولاً: أثره في كارل ماركس[1]

لاحظ معظم الباحثين تأثر كارل ماركس بكتابات فويرباخ الاغترابية بشكل كبير، ويمكننا القول إن السبب الذي دفع كارل ماركس للكتابة عن الاغتراب هو كتابات فويرباخ حول الاغتراب الديني، واغتراب صفات الإنسان، إلا أن كارل ماركس حول الاغتراب الديني إلى اغتراب الإنسان في ظل سلطة الرأسمالية.

لقد كان نقد فويرباخ لفلسفة هيغل أثره البالغ في فكر ماركس، إذ تنبه ماركس إلى نقائص فلسفة هيغل، خاصة إغفالها البعد المادي في تناولها للموضوعات. ولذلك حاول كارل ماكس إلى إبراز الجانب المادي ومحاولة إعادة قراءة الهيغلية من جديد. ومن ثم يمكننا القول أن هذا التنبه الذي أسهمت فيه إلى حد كبير فلسفة فويرباخ كان نقطة انطلاق ماركس الذي بنى على ضوئه تصوراته وخاصة مفهومه حول الاغتراب[(2)].

ففويرباخ كما رأينا في حديثه عن ظاهرة الاغتراب الديني يرد جذورها الحقيقية إلى أصل مادي. يجسد الإنسان ذاته، بوصفه كائناً حقيقياً وواقعياً. بخلاف هيغل الذي يحصرها في الفكر.

---

[1] مفكر اقتصادي وسياسي ألماني، ولد عام 1818 وتوفي عام 1883، اهتم بدراسة فلسفة هيجل، وتأثر بمؤلفات فويرباخ، وتوثقت عرى الصداقة بينه وبين فريدرش انجلز وعملا معاً على إعادة تنظيم العصبة الشيوعية. يُنظر: **موسوعة الفلسفة**، عبد الرحمن بدوي، ج2، ص418.

[(2)]نعيمة، وابل، **الاغتراب عند كارل ماركس** (الجزائر: كنوز الحكمة، 2013). ص 54.

هذا المنطلق المادي في تفسير الاغتراب هو ما قرب ماركس من فويرباخ وجعله يميل أكثر إلى فلسفته خلافاً لفلسفة هيغل[1].

ورغم أن ماركس في البداية قد قبل بفلسفة فويرباخ من حيث الأساس "المادة" فإنه سينتهي برفض الكثير من أطروحاتها، وذلك لما اكتشفه فيها من تناقضات، جعلتها لا تختلف في النهاية عن مثالية هيغل التي تمجد الفكر وتغفل واقع الإنسان[2].

يقول ماركس في أطروحاته حول فويرباخ: " إن العيب الأساسي في كل مادية فويرباخ يكمن في أن الموضوع أو الواقع العالم المحسوس، قد صور على شكل شيء أو تأمل، وليس كنشاط إنساني ملموس، وكممارسة، وليس بشكل ذاتي... فويرباخ يريد أشياء حسية، متميزة حقاً عن مواضيع الفكر، لكنه لا يعتبر النشاط الإنساني نفسه كنشاط موضوعي، ولهذا نراه لا يدرك أهمية النشاط الثوري النشاط العملي والنقدي"[3].

رأى ماركس أن فويرباخ وإن كانت انطلاقة فلسفته مادية من حيث الأساس "الإنسان"، فإن نظرته التحليلية للأشياء انعدم فيها الجانب العملي الذي هو خاصية العالم الواقعي، "إن فويرباخ الذي لا يرضيه الفكر المجرد، يلجأ إلى التأمل الحسي، ولكنه لا ينظر إلى العالم الحسي كفاعلية عملية، حسية للإنسان"[4].

---

[1] نعيمة، **الاغتراب عند كارل ماركس**، 54.

[2] نعيمة، **الاغتراب عند كارل ماركس**، 54.

[3] ماركس: كارل، انجلز: فريدريك، **حول الدين**، ترجمة ياسين الحافظ، (بيروت: دار الطليعة، ط2، 1981) ص 54.

[4] المرجع السابق، 55.

يهمل فويرباخ برأي ماركس في فلسفته الجانب العملي مثله مثل هيغل تماماً. لذلك وجه ماركس انتقاداته له حول الاغتراب، ويمكن إيجازها فيما يلي:

1- يوافق ماركس رأي فويرباخ في تفسيره لظاهرة الاغتراب الديني بإرجاعها إلى أصل دنيوي، أي الإنسان بوصفه كائناً ارضياً مادياً. لكن ما يفعله هو أنه يجعل هذا الإنسان يتخارج عن ذاته ويتعالى بنفسه في عالم مثالي "الدين" انطلاقاً من عالم أفكاره وخياله، وليس من واقعه المادي المحسوس. وهذا برأيه لدليل على أن هذا الأساس الدنيوي يحمل بداخله تناقضاً يجب فهمه [1].

إذ يقول: "ينطلق فويرباخ من واقع أن الدين يجعل الإنسان غريباً عن نفسه ويشطر العالم إلى عالم ديني، موضوع للتمثيل، وعالم واقعي دنيوي، وأن عمله يقوم على جر العالم الديني إلى قاعدته الدنيوية، وهو لا يرى أنه، بعد إنجاز هذا العمل يبقى الأمر الرئيسي الذي ينبغي إنجازه. ذلك أن كون الأساس الدنيوي ينفصل عن ذاته ويقيم نفسه في السُحُب كمملكة مستقلة لا يمكن تفسيره فعلاً، إلا بالتمزق والتناقض الداخليين لهذا الأساس الدنيوي، يجب إذاً أن نفهم هذ الأساس الدنيوي في تناقضه"[2].

ما يمكن أن نستنتجه من خلال هذا النقد هو أن ماركس يرفض أن يربط فكرة الاغتراب بعالم غير العالم المادي المحسوس، فما دام أصل الاغتراب دنيوياً، فيجب أن يبقى كذلك. ولا حاجة لربطه بإله يفوق الإنسان وقدراته.

---

[1] نعيمة، **الاغتراب عند كارل ماركس**، ص 56.

[2] ماركس، انجلز، **حول الدين**، ص 55.

2- يقبل ماركس ما ذهب إليه فويرباخ في حديثه عن الدين كاغتراب وإقراره بأنه من صنع أفكار وتخيلات الجنس البشري. لكنه رأى أنه يجرد الماهية الإنسانية من كل تطور تاريخي حقيقي لمجموع علاقاتها الاجتماعية ما دام الجوهر الديني عنه هو نفسه جوهر الإنسان بعيداً عن الدور العملي لحركية الإنسان وعلاقاته بواقعه.

إذ يقول: "يحل فويرباخ الجوهر الديني في الجوهر الإنساني ولكن الجوهر الإنساني ليس تجريداً ملازماً للفرد المعزول، إن هذا الجوهر في حقيقته الواقعية هو مجموع العلاقات الاجتماعية"[1].

وبحسب ماركس فإن فويرباخ لا يرى أن "الشعور الديني" هو بالذات نتاج اجتماعي، وأن الفرد المجرد الذي يتناوله بالتحليل إنما ينتمي في الواقع إلى شكل اجتماعي معين[2].

ولذلك نقد ماركس فلسفة فويرباخ التي بدأت مادية ولكنها انتهت مثالية مثل فلسفة هيغل. فرغم أن فويرباخ انطلق من الإنسان إلا أنه عاد ليبحث في الفكر من خلال ربطه للشعور الديني بإله يفوق تصورات الإنسان، وليس من خلال ربط الإنسان بمجتمعه.

---

[1] ماركس، انجلز، **حول الدين**، ص55 و56.

[2] ماركس، انجلز، **حول الدين**، ص55 و56.

- **فكرة الاغتراب عند ماركس:**

لقد قام كارل ماركس كما فعل فويرباخ بدراسة الاغتراب، ولكن وفق نظريته الخاصة، والمرتبطة بالواقع بشكل أكبر، فقد ربط ماركس الاغتراب بظروف مجتمعه، مجتمع الرأسمالية. والذي عانى فيه العمال (طبقة البروليتاريا) من ظلم واستغلال أصحاب الملكية الخاصة. وبذلك كانت معالجة ماركس لمفهوم الاغتراب معالجة ضرورية ووثيقة الصلة بالواقع.

بهذا يتبين لنا بأن ماركس نقل إشكالية الاغتراب من الطرح المثالي الهيغلي كما تضمنته جدلية الوعي إلى الطرح المادي. فلم تعد الفكرة أصل الاغتراب بل المادة. ومن جهة أخرى، فإن مادية ماركس لم تتناول الإنسان بمعزل عن الواقع وشروطه المادية كما فعل فويرباخ في تفسيره لأصل الاغتراب[1].

اعتبر كارل ماركس أن أصل الاغتراب هو ظهور الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج أي ظهور الرأسمالية، يقول:" وهكذا فالملكية الخاصة تنتج مفهوم العمل المستلب، الإنسان المستلب، العمل المغترب، الحياة المغتربة، الإنسان المغترب"[2].

ويعتبر كارل ماركس أن تركز أدوات الإنتاج في أيدي فئات معينة من أفراد المجتمع، وانقسام المجتمع إلى طبقتين: الطبقة المالكة لوسائل الإنتاج وهم الرأسماليون والبرجوازيون، والطبقة غير المالكة لوسائل الإنتاج وهم العمال. هذا التميز الطبقي في امتلاك الأدوات الإنتاجية، هو ما سيؤدي إلى تعارض العلاقة بين العامل وعملية الإنتاج، أي اغتراب العمل.

---

[1] نعيمة، **الاغتراب عند كارل ماركس**، ص 61.

[2] ماركس، كارل، **المخطوطات الاقتصادية والفلسفية**، ص78.

فقد رأى كارل ماركس أنه إضافةً إلى الدين، الذي هو سبب اغتراب الإنسان عن ذاته، فإن العمل وفق شروط الرأسمالية هو أيضاً سبباً لاغتراب الذات الإنسانية.

لذلك قام ماركس بتحليل اغتراب العمل لثلاثة مظاهر وهي كالآتي:

- اغتراب العامل عن ناتج عمله: بالنسبة لماركس فإنه كلما أنفق العامل نفسه، زادت قوة العالم الموضوعي الغريب الذي يخلقه أمام نفسه وأصبح هو أكثر فقراً، وقل ما ينتمي إليه كشيء مملوك له. وبذلك يرى ماركس أنه كلما زاد نشاط العامل، زاد افتقاره إلى الموضوعات. ويصبح عمله كشيء غريب ومعادٍ له[1].
- اغتراب العامل عن ذاته في نشاط عمله: يعتبر كارل ماركس أن العامل ينكر ذاته في عمله بدلاً من تأكيدها، إذ يقول: "ومن هنا فإن العامل إنما يشعر بنفسه خارج العمل، وهو في العمل يشعر بأنه خارج نفسه، إنه عمل اجباري، وهكذا فهو ليس اشباعاً لحاجة، وإنما هو مجرد وسيلة لإشباع حاجات خارجية، وبذلك يتجنب العمل كأنه الطاعون[2].
- اغتراب الإنسان عن نشاط حياته النوعي: بالنسبة لماركس فإن العمل المغترب يُطابق حياة الإنسان لحياة الحيوان، وذلك من خلال جعل نشاط حياته، وجوده الأساسي، مجرد

---

[1] ماركس، كارل، المخطوطات الاقتصادية والفلسفية، ص69.

[2] المرجع السابق، ص71.

وسيلة للوجود[1]. يقول ماركس: "فإن العمل المغترب بانحطاطه بالنشاط التلقائي، النشاط الحر، يجعل حياة الإنسان كنوع وسيلة لوجوده الجسدي"[2].

- اغتراب العامل عن الآخرين: اغتراب البشر عن بعضهم البعض، بسبب نظرة الإنسان إلى الآخرين وفقاً للمستويات والعلاقات التي يجد نفسه مدرجاً في إطارها بوصفه عاملاً ويمضي ماركس إلى القول بأن الشيوعية التي يتم من خلالها التغلب على اغتراب الذات الإنسانية هي كذلك الحل الحقيقي للنزاع بين الإنسان والإنسان، ويعتقد ماركس أن المجتمع المدني قد شيد هيكله على نحو يتم معه تشجيع الأنانية بل وتغدو مطلباً يقتضيه بقاء ذلك المجتمع وأن الاغتراب نتيجة للأنانية والأنانية نتيجة الحياة في المجتمع المدني[3] .

يُعتبر كارل ماركس من أبرز المفكرين الذين جعلوا قضية استغلال العامل قضية مركزية في تفكيره، وقد حلل ماركس قضية استغلال العامل وشعوره بالاغتراب انطلاقاً من اغترابه عن عمله وإنتاجه وعيشه في ظروف غير ملائمة، واعتبار صاحب العمل هو المستفيد من هذا العمل غير تراكم رأس المال لديه.

---

[1] ماركس، كارل، **المخطوطات الاقتصادية والفلسفية**، ص73.

[2] المرجع السابق، ص74.

[3] المرجع السابق، 75.

وبالنسبة لكارل ماركس فإن إنهاء الاغتراب يكون من خلال القضاء على الرأسمالية، وإحلال النظام الاشتراكي حيث يقول في مخطوطاته الاقتصادية والفلسفية: "التخطي الإيجابي للملكية الخاصة كتملك للحياة الإنسانية هو التخطي الإيجابي لكل اغتراب"[1].

ويضيف ماركس "أما خيرية الشيوعية فهي واقعية وتتجه مباشرة إلى الفعل"[2]. إلا أن نبوءة ماركس حول تحرير البروليتاريا من الاغتراب لم تنجح فيما بعد، وإنما وقعت في اغتراب آخر وهو سطوة الشيوعية والقضاء على تنافسية الإنتاج.

---

[1] ماركس، **المخطوطات الاقتصادية والفلسفية** 1844، مصدر سابق، ص97.

[2] المرجع السابق، ص97.

ثانياً: فريدريك نيتشه[1]

لقد بحث الأستاذ نبيل فياض في مقدمة ترجمته لكتاب جوهر المسيحية، عن تأثر أفكار نيتشه بفلسفة فويرباخ، بخاصة الأفكار التي وردت في مؤلفه الشهير "عدو المسيح"، فجوهر المسيحية وعدو المسيح، يتمحوران حول نقد المسيحية؛ فقد ركز فويرباخ اهتمامه على نقد تصور الإله، وقام بمقاربة المسيحية لتناسب أفكاره الإنسانوية؛ إلا أن نيتشه من الفقرة الأولى إلى الأخيرة يشن هجوماً لاذعاً على المسيحية.

وقد ذكر الأستاذ نبيل فياض عدة نقاط مشتركة وأخرى مختلفة في فلسفة كل من فويرباخ ونيتشه وهي كالتالي:

1- مقابل ما يقوله فويرباخ من أنه "على النقيض من الديانة الإسرائيلية، فالديانة المسيحية هي ديانة النقدية والحرية". يرى نيتشه أن "المسيحية هي النتيجة النهائية لليهودية، ويعتبر أن بولس هو من أفسد المسيحية الأصلية بيهوديته، فالمسيحي هو اليهودي بعقيدة أكثر حرية ليس إلا"[(2)].

2- رغم المقاربة التحليلية الفويرباخية للكينونة الإلهية التي تكشف عن نمط صريح من الإلحاد، فإن نيتشه يتركنا معلقين فوق هوة تساؤلات حول حقيقة الإلحاد النيتشوي، فإن نيتشه لا ينكر غير إله المسيحيين وفقاً لكتاباته، فهو يقول: "المفهوم المسيحي للإله،

---

[1] فيلسوف ألماني، مؤسس فلسفة القوة، ومن أعظم الفلاسفة تأثيراً في القرن العشرين، ولد عام 1844 وتوفي عام 1900، يُنظر: **موسوعة الفلسفة**، عبد الرحمن بدوي، ج2، ص514.

[(2)]فويرباخ، **جوهر المسيحية**، مقدمة المترجم نبيل فياض، ص25.

الإله كإله للمرضى، الإله كعنكبوت، الإله كروح هو واحد من أفسد المفاهيم للإله التي وصلت إلى الأرض"[1].

لا يأخذ نيتشه في عدو المسيح موقفاً نقدياً من الدين عموماً، ومن الإله بشكل خاص، وحدها المسيحية غرض مواقفه النقدية الذاتية. يقول: "إذا كان الإسلام يحتقر المسيحية، فإن لديه ألف حق كي يفعل ذلك: الإسلام يتطلب رجالاً"[2].

3- بعكس فويرباخ الذي فكك نقدياً أهم المذاهب والمبادئ المسيحية في نوع من الدحض الفلسفي لوقائع وجودها خارج المخيلة البشرية كأحد أبرز أشكال الوهم، فإن نيتشه يحاول أن يقصر هجومه على مرحلة ما بعد يسوع خاصة بولس معتبراً أن هنالك تمايزاً حقيقياً بين مسيحية الذي مات على الصليب ومسيحية الذين استخدموا من مات على الصليب لغاياتهم الخاصة[3].

4- في عمل فويرباخ، جوهر المسيحية، ثمة مقاربة عميقة لسري المعمودية والعشاء الرباني المسيحيين؛ ورغم النتائج الرافضة للسرين عند فويرباخ ونيتشه، فإن نيتشه تفرد بهجوم ذاتي حاد على عقيدة العشاء الرباني، معتبراً إياه إنما ظهر نتيجة لظرف تاريخي عرفته المسيحية[4].

---

[1] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، مقدمة المترجم نبيل فياض، ص26.

[2] نيتشه، فريدريك، **عدو المسيح**، ترجمة جورج ديب، (سوريا: دار الحوار، ط2، د.ت) ص179

[3] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، مقدمة المترجم نبيل فياض، ص29.

[4] المرجع نفسه، 31.

5- يشترك الفيلسوفان الألمانيان بهذا الإعجاب المفرط بثقافة اليونان والرومان المتعددة الآلهة، التي سادت قبل وصول المسيحية[1].

6- الإنسان المتفوق، أو السوبر مان هو الموضوع المشترك والأكثر أهمية بين فويرباخ ونيتشه، فقد أعلى فويرباخ من مكانة الإنسان حتى وضعه في منزلة الإله، وكذلك فإن نيتشه لا يتوقف عن وصف الإنسان المتفوق الذي بقدرته على تغيير العالم. برأيي هذا هو الموضوع الأكثر أهمية الذي تحدث عنه الفيلسوفان ولكن المترجم نبيل فياض لم ينتبه إليه. فالتمهيد للإنسانوية الحديثة، كان الهدف الرئيسي لكلتا الفلسفتين.

---

[1] المرجع نفسه، 31.

المطلب الثاني: أثره في الفكر العربي الحداثي (حسن حنفي، محمود رجب) نموذجاً

أولاً: تأثر محمود رجب[1] بفكرة الاغتراب لدى فويرباخ

تضمن كتاب محمود رجب المعنون "الاغتراب سيرة مصطلح"، فصلاً بعنوان فكرة الاغتراب في الإسلام، ذكر الكاتب في هذا الفصل الاغتراب الديني بمعناه "انفصال الإنسان عن الله"، وقام بإسقاط هذا المفهوم على قصة آدم عليه السلام المذكورة في القرآن الكريم.

ويمكننا من خلال قراءتنا لهذا الفصل، ملاحظة التأثير الكبير الذي أحدثته فلسفة فويرباخ الإنسانوية في فكر الكاتب محمود رجب، فقد اعتبر محمود رجب أن للوجود الإنساني ثلاثة أحوال هي كالتالي:

1- قصة خلق آدم قبل أن يقترب من الشجرة المحرمة

فيقول: " عن طريق تتبع هذه القصة، نستطيع أن نتبين ثلاثة أحوال لوجود الإنسان. **فالحال الأول يمس خلق آدم قبل أن يقترب من الشجرة المحرمة.** وهذا الحال الأول للوجود الإنساني يكشف عن ثلاث خصائص هي: الألوهية، العلم، القوة. أما الألوهية فتتعلق بماهية الإنسان التي خلقها الله على صورته ووفقاً لماهيته: "فطرة الله التي فطر **الإنسان** عليها" (سورة الروم آية 30) ولأن الإنسان يتصف بالألوهية، فقد أمر الله الملائكة بعبادته: "وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا" (سورة البقرة، آية 34). وأما العلم فيتعلق بتلك المعرفة التي وهبها الله للإنسان،

---

[1] أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة في جامعة القاهرة، وتلميذ الفيلسوف عبد الرحمن بدوي، لديه عدة كتب حول الفلسفة أهمها: الفلسفة والمرأة، الفلسفة والمنطق، الاغتراب سيرة مصطلح. وقد تضمن كتابه الاغتراب سيرة مصطلح، السير التاريخي لمصطلح الاغتراب، نشأته وتطوره وأهم الفلاسفة الذين قاموا بدراسته. (يُنظر، موقع صحيفة المثقف، https://www.almothaqaf.com/index.php?option=com_content&view=article&id=939146&catid=327:memoir02&Itemid=1238).

معرفته بخالقه وربه، وبالعالم أيضاً: (وعلم آدم الأسماء كلها) أما القوة فتتمثل في سيطرة الإنسان وسيادته على الأرض والسماء، تحكمه في الطير والحيوان، في الماء الهواء: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة"[1].

يعتبر محمود رجب أن الإنسان في وجوده الأول، والمتجسد بقصة خلق آدم في الجنة، كان يتصف بثلاث خصائص هي الألوهية، العلم، والقوة، وهنا يمكننا ملاحظة تأثره بفكرة فويرباخ حول القوى الثلاث الموجودة في ماهية الإنسان، قد اعتبر فويرباخ أن الإنسان يتصف بثلاث قوى مطلقة هي الإرادة والمعرفة والحب.

ولكن كيف فسر محمود رجب هذه الخواص الثلاثة الموجودة في الإنسان؟ لقد قام محمود رجب بتحريف ثلاث آيات من القرآن الكريم عن تفسيرها الصحيح، لتتناسب مع فلسفته الإنسانوية.

فأولاً: وصف الإنسان بالألوهية من خلال تفسيره لآية "فطرة الله التي فطر الناس عليها" فبجانب أنه اخطأ في نقل الآية وذكر كلمة الإنسان بدلاً من الناس، فقد قام بتحريفها باعتبار أن الآية تعني أن الله خلق الإنسان على صورته، كما هو مذكور في الإنجيل.

وقد برر مزاعمه بأن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم، وهذا يعني أنه كان يتصف بالألوهية.

ثانياً: وصف محمود رجب الإنسان بالمعرفة المطلقة، مبرراً قوله بالآية الكريمة "وعلم آدم الأسماء كلها" وهذه الآية تُطلق على النبي آدم فقط، وفيه خلاف كبير حول تفسير كلمة أسماء،

---

[1]رجب، **الاغتراب سيرة مصطلح**، مصدر سابق، ص177.

فهل تعني العلم المطلق أم أسماء الأشياء. ولكن محمود رجب يأخذ هذه الآية ويسقطها على الإنسان بشكل عام. لخدمة فلسفته الإنسانوية الملحدة.

ثالثاً: يصف محمود رجب الإنسان بالقوة، ويبرر ذلك بذكره لآية "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة" وهنا قام محمود رجب بتحريف مفهوم إسلامي مهم جداً للإنسان، وهو مفهوم الخلافة وإعمار الكون، فمثل هذه القوة في سيطرة الإنسان وسيادته على الأرض والسماء، تحكمه في الطير والحيوان، في الماء الهواء.

ولكن مفهوم التسلط والسيطرة، هو مفهوم يهودي، يبيح له أن يفعل ما يشاء لخدمة مصالحه، ولكن مفهوم خلافة الإنسان في الإسلام هو مفهوم مغاير تماماً، فالإنسان هو خليفة الله في الأرض، ليقوم بإعمار هذه الأرض وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. ويحث على فعل الصالحات وترك المنكرات.

فالخلافة في الإسلام هي أولاً مقام تكليف ومن ثم تشريف، فالإنسان مسؤول عما يفعله في الأرض، إن أصلح فله أجره، وإن أفسد فيها فله عاقبة ما أفسد، والخلافة هي الإعمار في الأرض وبذل المجهود لإصلاحها وتطويرها معنوياً ومادياً، وليس التسلط عليها.

2- الحال الثاني لوجود الإنسان: اقتراب آدم وحواء من الشجرة المحرمة:

وفيه انفصال آدم عن الألوهية الأصلية، وظهور الافتراق والثنائية، وفي هذه الحالة استولى الخوف والقلق على آدم، إلا أن الله أعانه وعلمه كلمات التوبة!

مرة أخرى يصر محمود رجب على صفة الألوهية ويعتبر أن انفصال آدم عن ألوهيته هو الاغتراب المقصود في الدين الإسلامي.

3- هبوط آدم وحواء من الجنة بأمر من الله.

ويعتبر محمود رجب أنه بهبوط آدم من الجنة وبفقدانه للألوهية والعلم والقوة، حدث بذلك تغيير كامل لعلاقة الإنسان بالله، فقد انفصل الانسان عن الله انفصالاً تاماً. وكُتِبَ على الإنسان أن يعيش بأزمة الوجود على الأرض. وبذلك سوف تسيطر عليه النفس اللوامة، والتي يصفها بأصعب اللحظات الوجودية في حياة الإنسان. لأنه يعيش فيها باغتراب وتوتر وقلق.

ويستشهد محمود رجب بالباحث الهندي حسن العسكري، ففي نظره أن الاغتراب في الإسلام يتمثل في أن الإنسان بعدما كان واحداً مع الله، صار منفصلاً عنه. أي أن الوحدة التي كانت تتمتع بها روح الإنسان في وجوده الأصلي الأول، أي وحدته مع الله، انفصمت عراها من خلال فعل المعصية[1].

وهنا أيضاً يتضح لنا تأثر محمود رجب وحسن العسكري بفكرة الخطيئة في الديانة المسيحية، وفكرة ألوهية الإنسان. إلا أن فكرة الاغتراب لدى محمود رجب هي فكرة مُغايرة للاغتراب عند فويرباخ، فالاغتراب بالنسبة لمحمود رجب هو انفصال الإنسان عن الله منذ الخطيئة الأولى، وانفصال الإنسان عن ألوهيته.

يقول: " الإيمان من قبل الإنسان وبالرحمة من قبل الله، يقومان وفقاً لروح القرآن، في مقابل الاغتراب، وكفيلان بالقضاء عليه"[2].

---

[1] رجب، محمود، **الاغتراب سيرة مصطلح** (القاهرة: دار المعارف، ط3، 1988) ص180.

[2] رجب، محمود، **الاغتراب سيرة مصطلح** (القاهرة: دار المعارف، ط3، 1988) ص182.

وبذلك فإن محمود رجب قام بإدخال الإنسانوية الملحدة بشكل خفي بين كتاباته التي في ظاهرها يُدافع فيها عن الإسلام، ولكن في باطنها فلسفة إلحادية، تؤمن بألوهية الإنسان، وتحرف آيات القرآن، وفق مقاصد حداثية.

ثانياً: تأثر حسن حنفي[1] بفكرة الاغتراب الديني عند فويرباخ

ذكر حسن حنفي في مقدمة حديثه عن فويرباخ، في كتابه دراسات فلسفية الجزء الثاني، "ليس في هذا المقال ما يمس ديننا الحنيف بل هو دراسة للمسيحية واليهودية والوثنية أي للأديان السابقة على الإسلام وليس لخاتم الأديان"[(2)].

ذلك لأنه يعلم تمام العلم أن مقالة فويرباخ ما هي إلا دعوة صريحة للإلحاد، وأنها تدمير للدين، فحسن حنفي هو القائل: "وإذا كان كتاب جوهر المسيحية نافياً، لا متديناً، ملحداً؛ فلأن الإلحاد هو جوهر الدين"[(3)]. وقد كتب في بحثه عن فويرباخ "أكرر وأقول: ليس الباحث مسئولاً عن أفكار فيورباخ بل المسئولية تقع على عاتق فيورباخ وحده"[(4)].

---

[1] مفكر حداثي، وأستاذ جامعي، ولد عام 1935 وتوفي عام 2021، ويعد واحداً من منظري تيار اليسار الإسلامي، وتيار علم الاستغراب. المصدر: موقع ويكيبيديا.

[(2)] حنفي، **دراسات فلسفية**، ج2، مرجع سابق، ص 163.

[(3)] المرجع السابق، ص173.

[(4)] المرجع السابق، ص 168

ومع هذا فإنه يؤكد أنه ينتمي فكرياً إلى فويرباخ والهيجليين الشبان حين يقول: "وقد يصعب الحديث عن فويرباخ من فويرباخي وعن الهيجليين الشبان من هيجلي شاب"[1]. ومعنى هذا أنه يعتنق الفويرباخية[2].

طبق حسن حنفي نظرية فويرباخ في الاغتراب الديني على الإلهيات في الدين الإسلامي؛ ففي كتابه من العقيدة إلى الثورة جعل مقالة فويرباخ هي المفسرة لعقائد المسلمين في الإلهيات، بل جعلها ثورة على العقائد الإسلامية[3].

يقول حنفي: "إن ما وصفه القدماء على أنه الذات والصفات والأفعال هو في حقيقة الأمر الإنسان الكامل. فكل المادة التي وضعها القدماء تحت هذا الاسم لا تشير إلى موضوع فعلي، بل تعبر عن موقف إنساني خالص تجاه موضوع مثالي. فما ظنه القدماء على أنه وصف موضوعي لحقيقة واقعة في الخارج هو في الحقيقة وصف ذاتي لشعور المتكلم أسقطه في الخارج ثم قفز من الشعور إلى العالم الخارجي بلا أدنى مبرر عقلي إلا عجزه عن تحقيق هذا الموضوع المثالي بالفعل"[4].

ومعنى هذا أن قضية: الله موجود. ليس لموضوعها وجود محقق خارجي، والذي وهبه هذا الوجود الذهني هو الإنسان نفسه. والسبب في هذا هو اغتراب الإنسان وعدم وعيه، ولذلك يقول: "إن فعل الإنسان هذا ناتج عن نقص في الوعي بالمسافة بين المثال والواقع، بين الوعي بالذات

---

[1] المرجع السابق، ص167.

[2] الفار، **مقالة الاغتراب الديني وتطبيقها على الإلهيات عند حسن حنفي**، مرجع سابق، ص30.

[3] المرجع السابق، ص31.

[4] حنفي، حسن، **من العقيدة إلى الثورة** (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ج2، د.ط، 2017) ص512.

والوعي بالعالم. وفي أسوأ الأحوال يتم بلا وعي على الإطلاق وبالإغراق في عالم الشعور الخالص بعد أن فرغ من كل الموضوعات وامتلأ بالعواطف والانفعالات"[1].

والنتيجة التي يريدها حنفي هي أن "ما ظنه القدماء على أنه وصف لله بالفعل في الحقيقة وصف للإنسان. ولما كان لله هو الكامل جاء وصفه وصفاً للإنسان الكامل"[2].

والخلاصة أن حنفي يسير خلف فويرباخ، وكل عمله هو إسقاط لمقال الاغتراب الديني على الإلهيات في الدين الإسلامي. وقد قام حسن حنفي بتطبيق مقالة الاغتراب الديني على العقائد الإسلامية بشكل عبثي، وقام بالرد عليه الدكتور أحمد السيد الفار بشكل مفصل في البحث المشار إليه في الدراسات السابقة بعنوان مقالة الاغتراب الديني وتطبيقها على الإلهيات عند حسن حنفي.

ولم يكتفِ بذلك بل قام بإسقاط آيات قرآنية لتناسب فلسفة فويرباخ الإنسانوية بشكل ملتوٍ وغير صحيح.

إذ يقول: "وهكذا ينتهي فويرباخ من محاولته لإعادة الدين إلى الموقف الإنساني، وإعادة ملكوت السموات إلى ملكوت الأرض وهو ما حاوله الإسلام قبل ذلك بثلاثة عشر قرناً، وكأن الفلسفة الغربية كلها منذ الإصلاح الديني وعصر النهضة وفلسفة التنوير حتى فويرباخ والهيجليين الشبان ما هي إلا محاولة للاقتراب من إنسانية الإسلام وواقعيته ورفضه للكهنوت والأسرار وتأكيده

---

[1] المرجع السابق، ص513.

[2] المرجع السابق.

للعقل والتوحيد، فسهام فويرباخ موجهة إلى الدين قبل أن يكتمل وليس بعد اكتماله وتحققه؛ "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً"[1].

وفي تقريب إنسانية فويرباخ من إنسانية الإسلام أمر خطير جداً، فالإسلام أعلى من مكانة الإنسان، والكرامة الإنسانية في الإسلام أمر واضح جداً، لكنه مهما قام الإسلام بإعلاء قيمة الإنسان، فإنه يبقى عبداً لله، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تتساوى قيمته بالله سبحانه وتعالى.

وكذلك فإن الطبيعة البشرية تختلف تماماً عن الطبيعة الإلهية، وفويرباخ يدعو إلى عكس ذلك.

وفي حديث فويرباخ عن ماء المعمودية، فقد ارجع الماء لفائدته الحسية المتعارف عليها باعتبار أن الماء للاستحمام والنظافة. وفي هذا الموضع يستشهد حسن حنفي الآية الكريمة "وجعلنا من الماء كل شيء حي".

وهي محاولة أخرى لتقريب منهج فويرباخ للمنهج الإسلامي، فقد نقض فويرباخ المعجزات، واعتبر أن كل ما ينسب لما هو فوق الطبيعة خيال ووهم. فالأمر لا يتعلق بسر المعمودية فقط، وإنما بإنكار فويرباخ للمعجزات، الأمر نفسه عندما ينكر المسلم بركة ماء زمزم، ويعتبره ماءً طبيعياً مثل أي ماء موجود على الأرض. فهذا هو منهج فويرباخ الحسي، الذي لا يؤمن بإله قادر على وضع صفات خاصة بماء معين دون غيره.

---

[1] حنفي، **دراسات فلسفية**، ج2، مرجع سابق، ص208.

يقول فويرباخ: "الله هو ماهية الإنسان الذاتية، وكلما كان الله إنسانياً كان ذاتياً، وكما أن الإنسان لا يرى إلا ذاته فإن الله لا يرى أيضاً إلا ذاته أي الإنسان.. لا يعود التقدم للبشرية إلا إذا استرد الإنسان صفاته، وهذا هو تطور الدين من اليهودية إلى المسيحية"[1].

ويُعلق حسن حنفي بقوله: " ونقول أيضاً من المسيحية إلى الإسلام لدينا وإلى التنوير لهم؛ فقد كان الله كل شيء في اليهودية حتى في الطعام ثم أصبح الله في الإنسان في المسيحية ثم أصبح الله هو الإنسان الكامل في الإسلام وعند فيورباخ؛ وبالتالي يكون إلحاد اليوم هو دين الغد"[2].

هنا نلاحظ كيف يُسقط حسن حنفي الدين الإسلامي على مبادئ فويرباخ الإنسانية، فالإسلام أعلى من شأن الإنسان وجعله خليفة في الأرض، ولكن هذا لا يعني أن يصبح الله هو الإنسان الكامل! وسوف نبين في المطلب القادم والأخير الموقف الإسلامي الصحيح تجاه كل من ابتداع الحداثيين نظريات حول الاغتراب الإسلامي، ومكانة الإنسان في الدين الإسلامي.

---

[1] فويرباخ، **جوهر المسيحية**، مرجع سابق، 315.

[2] حنفي، **دراسات فلسفية**، ج2، مرجع سابق، ص181.

المطلب الثالث: الموقف الإسلامي الصحيح من الاغتراب الديني والإنسانوية

يهدف المطلب الثالث والأخير من بحثنا حول الاغتراب الديني لدى فويرباخ، إلى بيان الموقف الإسلامي الصحيح من مفهوم الاغتراب في الإسلام، وكذلك تبيان مكانة الإنسان في الإسلام وأهميته. وذلك من أجل الرد على ادعاءات الحداثيين أمثال حسن حنفي ومحمود رجب، الذين تأثروا بفلسفات الغرب، وقاموا بتحريف الآيات القرآنية وفق مقاصدهم الحداثية.

وترجع أهمية هذا المطلب بالتحديد إلى وجود كمية هائلة من الدراسات العربية والإسلامية حول شخصية فويرباخ، ومفهومه حول الاغتراب الديني، ولكن دون بيان الموقف الإسلامي منها، فقد وجدت عدداً كبيراً من الأبحاث المنشورة من قبل طلاب عرب ومسلمين. ولكن لم يبدِ أيٌّ منهم أيَّ اعتراض حول فلسفة فويرباخ الإلحادية.

وخاصة أنني لم أجد أي بحث يبين خطورة ما ادعاه محمود رجب وحسن حنفي من أفكار غير موجودة في الإسلام. ما عدا دراسة واحدة كنت قد ذكرتها في خطة البحث، وهي للدكتور أحمد السيد الفار، والذي بين فيه ادعاءات حسن حنفي المغلوطة ولكنه لم يبين فيها المفهوم الإسلامي للاغتراب الديني.

فرأيت أنه من الواجب بيان أمرين أساسيين في الإسلام حتى نقوم بالرد الوافي على ادعاءات المحدثين حول الإسلام، وهما: بيان مفهوم الاغتراب في الإسلام، وبيان أهمية الإنسان وتكريم الإسلام له.

المسألة الأولى: بيان مفهوم الاغتراب في الإسلام

جاء الاغتراب في الإسلام على هذه الصورة التي يوضحها حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث قال: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء"[1].

وقال أحمد حدثنا عبدالله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن أحب شيء إلى الله الغرباء، قيل ومن الغرباء؟ قال: الفرارون بدينهم، يجتمعون إلى عيسى ابن مريم عليه السلام يوم القيامة"[2].

وفي حديث آخر: "بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذين يحيون سنتي ويعلمونها الناس. وفي شرح معنى الغرباء في هذا الحديث قال ابن القيم الجوزية في كتابه مدارج السالكين: "فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبوطون، ولقلتهم في الناس جداً؛ سموا غرباء، فإن أكثر الناس على غير هذه الصفات، فأهل الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء"[3].

---

[1] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، 65 باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وإنه يأزر بين المسجدين، رقم الحديث 145، صفحة 130.

[2] أخرجه البخاري في **التاريخ الكبير**، باب السين، ج (4)، ص131، رقم الحديث (2891).

[3] المرجع السابق، ص 186.

فلقلة المسلمين وتميُّزهم من عموم الناس بالخضوع والإذعان للأوامر والنواهي الربّانية سُمُّوا «غرباء»، ولقلة المؤمنين بين المسلمين وانفرادهم بالتصديق والاعتقاد القلْبي الصحيح سُمّوا «غرباء»، ولقلة العلماء بين المؤمنين وتفرُّدهم بإعْمال الفكر والنظر في ملكوت الله قبل الحُكم والتقويم سُمُّوا «غرباء»[1].

ولما خرج موسى عليه السلام هارباً من قوم فرعون انتهى إلى مدين على الحال التي ذكر الله، وهو وحيد غريب خائف جائع، فقال: يا رب وحيد مريض غريب، فقيل له: يا موسى الوحيد: من ليس له مثلي أنيس، والمريض: من ليس له مثلي طبيب، والغريب من ليس بيني وبينه معاملة[2].

فالغربة في الإسلام هي غربة محمودة يختص بها أهل الله وأهل سنة رسوله، وهي الغربة التي مدح رسول الله عليه الصلاة والسلام أهلها، وأهل هذه الغربة هم أهل الله حقاً، فإنهم لم يأووا إلى غير الله، ولم ينتسبوا إلى غير رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يدعو إلى غير ما جاء به، وهم الذين فارقوا الناس أحوج ما كانوا إليهم[3].

ويذكر الباحث ناصر العقل في شرحه لكتاب فضل الإسلام لمحمد بن عبد الوهاب، أن الغربة قد تكون في بلاد ما، أي: غربة المسلم المستمسك بدينه في بلد كانت إسلامية ثم أصابها

---

[1] ابن القيم الجوزية، **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ص185.

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق، ص187.

ما أصابها، إما من اعتداء الكفار، أو انحراف أهلها إلى البدع والخرافات فأصبح صاحب السنة فيها في غربة شديدة، فهذا يكون في بعض البلاد الإسلامية لا في كلها[1].

وأيضاً قد تكون غربة الإسلام نفسه في بلد كانت إسلامية ثم تحولت إلى غير إسلامية مثل الأندلس، لأن الأندلس تمثلت فيها معاني الغربة للمسلم الذي بقي بعد دخول الكفار فيها بعد أن بقيت على الإسلام ثمانية قرون، فهذه غربة تتمثل فيها أقسى أنواع الغربة، وهناك بلاد في العصور الحديثة كانت مسلمة ثم تحولت إلى نصرانية بقوة السيف مثلما صار في الفلبين، والفلبين كانت مسلمة وكانت دولتها مسلمة وفيها سلطان مسلم، ويحكم فيها بشرع الله، ثم دخلها الأسبان وحاربوا الإسلام والمسلمين بعنف حتى تحولت إلى دولة نصرانية، فمثل هذه البلاد تجد المسلمين إلى اليوم فيها في غربة شديدة[2]

فهذه الغربة قد لا تكون على البلاد الإسلامية كلها، وأحياناً تكون الغربة غربة السنة وأهل السنة، وتكون بمخالفة الناس من الوجهين، فالناس يخالفون أهل السنة، وأهل السنة يخالفون الناس، فربما في بعض البلاد الإسلامية يحكم على صاحب السنة بأنه إنسان مخالف للحق، وربما يرمى بأوصاف الشذوذ والإرهاب ونحو ذلك، فيعيش صاحب السنة في غربة في مثل هذه البلاد وإن كانت إسلامية، وهذا واقع كثير من البلاد الإسلامية اليوم[3].

---

[1] العقل، ناصر، **شرح كتاب فضل الإسلام** (دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، الكتاب مرقم آلياً ورقم الجزء هو رقم الدرس، ج10) ص3.

[2] العقل، **شرح كتاب فضل الإسلام**، ج10، ص3.

[3] المرجع السابق.

فإن صاحب الحق يعيش غربة حقيقية وإن كانت البلاد مسلمة، وأحياناً الغربة قد تعني المشقة في العمل بالعمل بالسنة حتى بين المنتسبين لأهل السنة، العمل بها على الوجه الشرعي الكامل قد يكون فيه مشقة كما هو حاصل اليوم حتى في البلاد التي أهلها هم أهل السنة؛ لأن الناس الآن قد يكون لهم جرأة على من يعمل بالسنة وإن كان معه الدليل؛ وذلك لأنه خالفهم أو خالف ما هم عليه[1].

[1] المرجع السابق، ص4.

إذاً فإن الاغتراب في الإسلام له عدة أشكال، وهي كالتالي:

1- غربة المسلم بين الناس، وهي غربة المسلم الذي يعيش في بلاد الكفار، أو المسلم الذي يعيش في دولة كانت دولة إسلامية مثل اسبانيا والفلبين.

2- غربة المؤمن بين المسلمين، فالإيمان أعلى درجة من الإسلام، وقد يعيش المؤمن المتمسك بسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام في اغتراب بين أبناء دينه، وفي دولة مسلمة، لمجرد تمسكه بالسنة واقتداءه بالنبي عليه الصلاة والسلام.

3- غربة العلماء بين المؤمنين، فكثير من المؤمنين يجهلون أمور دينهم، ولذلك يقومون بنبذ العلماء والشيوخ.

4- غربة الهمة، وهي غربة باطنة يختصّ بها الصوفية.

5- غربة المعاصي، فالمؤمن حين يرتكب المعاصي والآثام يبتعد عن الله، ويغترب عن دينه. قال تعالى: "وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ۚ إن الله هو التواب الرحيم" (سورة التوبة، الآية 118). فالمؤمن حين يقع في المعاصي ويخالف جماعة المؤمنين حوله، يقع في غربة وتضيق عليه الحياة، حتى يعود إلى الله ويتوب. وهذه الغربة لا بد للمؤمن أن يقع فيها من وقت إلى آخر، وتزول بتوبته ورجوعه إلى الله.

المسألة الثانية: بيان مكانة الإنسان في الإسلام وأهميته

في زمن تكالب المحن على المسلمين، ونشوب الحروب في بلدانهم، دعا البعض إلى تجديد الدين، واقترح آخرون تأويل النصوص الشرعية تأويلاً حداثياً، ومضى بعضهم أبعد من ذلك، فدعوا إلى إقامة رابطة تتأسس على الإنسانية المحضة لتكون بديلاً عن الرابطة الدينية، مع احتفاظ كل بمعتقداته الدينية في قلبه. ومضى آخرون أبعد من ذلك فدعوا إلى إسقاط (الدين الإلهي) من الاعتبار بالكلية، واعتناق (الدين الإنساني) الذي ظنوا أنه يوحد البشرية، فهو السبيل في نظرهم إلى توقف الحروب، وشيوع السلام بين الأمم[1].

ومن خلال ما سبق ذكره في هذا البحث، فقد تبين لنا بشكل واضح النزعة الإنسانوية التي اعتنقها فويرباخ في نقده للدين، وإعلاءه من شأن الإنسان، إلى أن قام بتأليه الإنسانية جمعاء، وقد تأثر بهذا الطرح كل من حسن حنفي ومحمود رجب وغيرهم، ولذلك جاء هذا المطلب لبيان المكانة الحقيقية التي وضعها الإسلام للإنسان في هذه الحياة.

تتمثل أبرز مآلات الخطاب الإنسانوي، في تحريف مفهوم الدين وتغييره، والمغالاة في تقديس الإنسان حتى الوصول إلى حافة الإلحاد. والحقيقة أن الفضائل التي تدعو إليها الإنسانوية، قد سبقها إليها الدين الإسلامي. ونحن مع ذلك لا نقصد تحريف حقائق الدين، ولا نحاول إعادة قراءته ليوافق الذوق الإنسانوي المعاصر، بل نريد أن نكشف أن المكون الصالح في الإنسانوية دون الفاسد موجود في أتم صورة وأكملها في الإسلام[2].

---

[1] الرماح، إبراهيم، **الإنسانوية المستحيلة** (الرياض: مركز دلائل، د.ط، 2019) ص14.

[2] المرجع السابق، ص15.

فقد أصبح الإنسان وليس الإله هو المصدر المطلق المخصص بشكل واع للخير والقوة في الكون، تمجده الفلسفات الإنسانية هو وقدراته بشكل يشابه إلى حد كبير الطريقة التي يمجد الدينُ الخالقَ. وصار البشر يؤولون من عبادة إله واحد إلى آلهة عدة، إلى كون كل شخص إلهاً بحد ذاته، حيث يضع المرء نفسه على عرض الإله من خلال نرجسيته ورغباته [1].

وصارت في نظرهم إرادة الإنسان لا إرادة الرب هي المعين المعترف به لأسباب تحسين العالم وتحرير البشرية الصاعد [2]، وصورت اللاءات الأربع كيف أله الإنسان نفسه وتعدى حدوده: "لا سلطة فوق الذات، لا قيم أخلاقية إلا من طريق منافع الذات، لا سعادة إلا من طريق إشباع الذات، لا حقيقة إلا من طريق معرفة الذات"[3].

فهل هذا يعني أن الدين وخصوصاً الدين الإسلامي لم يحقق السعادة والخير للإنسان؟ وهل ما أدعاه فويرباخ وقام بنسخه حسن حنفي، بأن الإنسان في اغتراب طالما أنه يؤمن بإله يفوقه في الصفات والكمالات؟ لقد بينا فيما سبق مفهوم الاغتراب في الإسلام، والآن سنبين مكانة الإنسان في الإسلام.

لقد وُجد الإسلام قبل الإنسان، وهو كما قرر القرآن المبدأ الذي خُلق الإنسان بمقتضاه[4]. قال تعالى: "فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" (الروم:30).

---

[1] فيتز، بول، **نفسية الإلحاد**، ترجمة مركز دلائل (الرياض، مركز دلائل، ط2، 2013) ص35.

[2] تارناس، ريتشارد، **آلام العقل الغربي**، نقله إلى العربية فاضل جتكر (السعودية: العبيكان، ط1، 2010) ص385.

[3] الوائلي، عامر، **الإنسية العربية المعاصرة**، (الجزائر: ابن النديم للنشر، ط1، 2016م) ص44.

[4] الرماح، **الإنسانوية المستحيلة**، ص136.

وخلق الله الناس لعبادته جل وعلا وهو الغني عنهم، وهو الغرض الذي لأجله أوجد الإنسان[1]، كما قال تعالى: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" وقوله: "إني جاعل في الأرض خليفة".

وقد عرض تعالى على الإنسان حمل الأمانة، فحملها لقوله: "إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا" (الأحزاب:72).

قال الحليمي: "ومعنى ذلك والله أعلم الدلالة على فضل العقل والحياة وشرفهما، وأمانة الإنسان إنما صار صالحاً للتكليف بسببهما، وأن السماوات والأرض والجبال، وإن كانت أعظم جثة وأشد قوة منه، لما كانت خالية من الحياة والعقل لم تصلح للتكليف والتعبد"[2].

فحقيقة الغاية من الخلق وتحمل الإنسان للأمانة تنقض مقررات الإنسانوية من أن وجود الإنسان على الأرض صدفة، وأنه لا خالق ولا نبوات ولا وحي ولا تكليف ولا جزاء. "ولئن كان الإنسان مصمماً على صورة الإله، فإنه مع ذلك ليس الإله. إن كرامته الخاصة لا تنبثق منه، بل من خالقه، ويتقاسمها مع بقية البشر"[3].

جاءت قصة خلق آدم أبي البشر في عدة مواضع من القرآن الكريم، أولها في أوائل سورة البقرة، حيث قال تعالى: " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة.." والناظر في

---

[1] المرجع السابق.

[2]أبو عبدالله الحليمي، الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري، **المنهاج في شعب الإيمان**، المحقق: حلمي محمد فودة (دمشق: دار الفكر، ط1، ج3 1979م) ص25.

[3]سوبيو، آلان، **الإنسان القانوني**، ترجمة عادل بن نصر (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2012) ص57.

النصوص الشرعية المتضمنة لمفهوم الانتساب في القرآن الكريم والسنة النبوية، يجد أن الله عز وجل في نداء الإنسان وتسميته باعتبار النسبة ثلاثة أحوال[1]:

الأولى: أن ينسبه إلى جبلته وطبيعته الخلقية، فيسميه (الإنسان).

والثانية: أن ينسبه إلى أبيه فيسميه ابن آدم وبني آدم.

والثالثة: أن ينسبه إليه تعالى فيسميه عبداً، عبدي، عبادي. وهذه النسبة الأخيرة تكون غالباً في سياق المحبة الإلهية للمؤمنين. كما قال تعالى: " نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم".

---

[1] الرماح، **الإنسانوية المستحيلة**، مرجع سابق، ص140.

والتكريم الإلهي للإنسان جاء في القرآن على وجوه عدة، منها:

1- خلق الله سبحانه لآدم بيده، والنفخ فيه من روحه، وأمر ملائكته بالسجود له:

وفي ذلك قال تعالى: "قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي". وقال جل وعلا: " وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصل من حمإٍ مسنون، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين" الحجر 28.

قال فخر الدين الرازي في تفسيره لآية التكريم في سورة الإسراء: قال بعضهم: هذا التكريم معناه أنه تعالى خلق آدم بيده وخلق غيره بطريق كن فيكون، ومن كان مخلوقاً بيد الله كانت العناية به أتم وأكمل، وكان أكرم وأكمل، ولما جعلنا من أولاده وجب كون بني آدم أكرم وأكمل. والله أعلم"[1].

2- إحسان خلقته وصورته

قال تعالى: " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم". قال ابن القيم: "فسبحان من ألبسه خلع الكرامة كلها، من العقل والعلم والبيان والنطق والشكل والصورة الحينة والهيئة الشريفة والقد المعتدل واكتساب العلوم بالاستدلال والفكر واقتناص الأخلاق الشريفة الفاضلة من البر والطاعة والانقياد"[2].

---

[1] الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، **مفاتيح الغيب** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، ج21، 1420 هـ) ص374.

[2] محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، أبو عبد الله شمس الدين ابن قيم الجوزية، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، تحقيق عبد الرحمن بن حسن (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت) ج1، ص263.

3- تخصيصه بالتكريم من بين المخلوقات:

فقد "جعل تعالى الإنسان سلالة العالم وزبدته، وهو المخصوص بالكرامة، كما قال تعالى: "ولقد كرمنا بني آدم وحملنهم في البر والبحر ورزقنهم من الطبيبات وفضلنهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا" (الإسراء:70). وجعل ما سواه كالمعونة له كما قال تعالى في معرض الامتنان: "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا" (البقرة:29)[1].

"ومن تمام كرامته على الله تعالى أنه تعالى لما خلقه في أول الأمر وصف نفسه بأنه أكرم فقال: "اقرأ ورب وربك الأكرم" ووصف نفسه بالتكريم عند تربيته للإنسان فقال: "ولقد كرمنا بني آدم" ووصف نفسه بالكرم في آخر أحوال الإنسان فقال: "ما غرك بربك الكريم" وهذا يدل على أنه لا نهاية لكرم الله تعالى ولفضله وإحسانه مع الإنسان. والله أعلم"[2].

4- الإقسام به، ولا يقسم سبحانه إلا بعظيم

قال ابن القيم: "كما أنه لما أقسم بالنفوس أقسم بأعلاها، وهي النفس الإنسانية"[3].

---

[1] الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين** (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، د.ط، 1983) ص46.

[2] الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، **مفاتيح الغيب** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، ج21، 1420 هـ) ص374.

[3] ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، **التبيان في أقسام القرآن**، (القاهرة: مكتبة المتنبي، د.ط، د.ت) ص117.

5- الامتنان عليه بالعقل والتعليم

قال تعالى: "الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان" (الرحمن، 1-4). قال الراغب الأصفهاني: "والعقل الذي أعطاه الله تعالى للإنسان ليحصل به كل ما يحتاج إليه أعلى وأشرف، فإنه مرآة إذا جلاها اطلع بها على ملكوت السماوات والأرض"[1].

6- تسخير الكون له

فالله سبحانه وتعالى أمر الناس بعبادته بصفته خالقاً لهم، ثم مكن لهم العيش في عالم هيئ أصالة لاستقبالهم، قال تعالى: "الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم" (البقرة:22).

فخلق ما في الأرض جميعاً كان من أجل الإنسان بصريح عبارة القرآن، ومهدت له كل أسباب الحياة والعمران، إنه تدبير رحيم، وتكريم عظيم لهذا الإنسان، من حيث هو إنسان، قال تعالى: "ولقد كرمنا بني آدم وحملنهم في البر والبحر ورزقنهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا" (الإسراء:70).

ومفهوم التسخير هو مفهوم مُغاير لمفهوم "تسليط الإنسان على الأرض والكائنات التي عليها" وهو مفهوم يهودي، يجعل من الإنسان كائن نفعي ومادي بحت، يسعى لمنفعته الخاصة. ولكن في الإسلام فإن مفهوم التسخير يدور حول منفعة الإنسان في إطار عمله واستخلافه في الأرض، ومنفعة غيره من الكائنات الحية.

---

[1] الراغب الأصفهاني، **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**، مرجع سابق، ص63.

7- فطره على الإيمان

والإنعام عليه بالتوحيد، وتحريره من الشرك وعبادة الأوثان المخلوقة. قال تعالى: " فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" فقد كرم الإسلام الإنسان عن أن يخضع لحجر أو شجر أو حيوان، أو ألا يرى النجاة لنفسه إلا بعبادة الشمس أو القمر أو النجوم أو النار أو غيرها من المخلوقات. بل علمه أن هذه الكائنات إنما هي مسخرة له[1].

وليس على ابن آدم (خطيئة أصلية) فقد قال تعالى: "ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزو وازرة وزر أخرى" (الأنعام: 164).

"وعلى هذا يرفض الإسلام بشدة فكرة (سقوط الإنسان) فكرة الخطيئة الأصلية التي ورثت عواقبها البشرية جمعاء. ويستتبع هذا الخلاف تضاداً أساسياً مع اليهودية، ومع المسيحية بخاصة، فيما يتعلق بمفهوم الإنسان وقواعد حياته الخلقية"[2].

---

[1] الرماح، **الإنسانوية المستحيلة**، مرجع سابق، ص150.

[2] بوازار، مارسيل، **إنسانية الإسلام**، ترجمة عفيف دمشقية (بيروت: دار الآداب، ط1، 1980م) ص95.

الخاتمة

من خلال هذا العرض في دراستنا لمفهوم الاغتراب الديني عند فويرباخ أسبابه، تطبيقاته، وآثاره، نصل إلى أهم النتائج والتوصيات على النحو الآتي:

أولاً: النتائج

- مفهوم الاغتراب من أكثر المفاهيم التي تنوعت مجالات استخداماته؛ ولذلك تعددت التعريفات الاصطلاحية للاغتراب لتعدد الاتجاهات الفكرية والسياقات الفلسفية التي استخدمت مفهوم الاغتراب للتعبير عن مشكلة في الذات الإنسانية، أو عن مشكلة في النظام السياسي، النظام الاجتماعي، أو النظام الديني.
- يُعبر مفهوم الاغتراب الديني في الفكر المسيحي عن الابتعاد عن الله وارتكاب المعاصي؛ فالوقوع في الخطيئة هو المعنى الحقيقي للاغتراب الديني في المسيحية. بينما في فلسفة فويرباخ فالعكس هو الصحيح، فالإيمان بالإله والتقرب إليه هو بالنسبة لفويرباخ الاغتراب بعينه.
- استلهم فويرباخ نقده للمسيحية من فكرة الاغتراب الديني وبنى على أساسها أفكاره ومعتقداته بمركزية الإنسان والطبيعة بصفتهما الحقيقة الوحيدة التي يمكن الوصول إليها.
- اكتسب مفهوم الاغتراب الديني في الفكر المسيحي طابعاً سلبياً؛ فهو يعبر عن ارتكاب المعاصي والبعد عن الله. وأما مفهوم الاغتراب في الفكر الإسلامي فقد اكتسب طابعاً إيجابياً وسلبياً في الوقت ذاته. فالمسلم الذي يعيش بين الكفار في غربة، ولكنها غربة محمودة. وكذلك قد يرتكب المسلم المعاصي فيشعر بأنه في غربة، غربة عن الله وعن مجتمعه المسلم الذي من حوله.

- يختلف استخدام مفهوم الاغتراب بين كلاٍ من هيجل وفويرباخ؛ فقد درس هيجل مفهوم الاغتراب باعتباره محاولة الإنسان للاتحاد مع الروح المطلق (الإله). بينما انكر فويرباخ وجود الإله بشكل كامل، ونادى بالدين الإنسانوي الذي يقوم على تأليه الإنسان.
- تُعتبر الصفة الإنسانية لله الموجودة في الدين المسيحي، واعتبار أن المسيح ذو طبيعة إلهية وبشرية في آن واحد، أحد أهم الأسباب التي دفعت فويرباخ لإعلان مذهبه الإنسانوي الإلحادي.
- دفعت عقيدة "الإيمان دون الفهم" فويرباخ إلى نقد العقائد المسيحية الرئيسة مثل طبيعة الإله، الوحي، الثالوث، الأسرار المقدسة.
- سعى كلٌّ من محمود رجب، وحسن حنفي إلى تفسير مقولات فويرباخ الإلحادية، في ضوء الأفكار الحداثية التي تهدف إلى تحريف المفاهيم الإسلامية حول الإنسان.
- كرم الله سبحانه وتعالى الإنسان وأعلى من شأنه فجعله خليفته في الأرض، وأحسن خلقته وصورته، وسخر الكون لخدمته وإعانته.

ثانياً: التوصيات

لقد اختارت الباحثة موضوع الاغتراب الديني بناءً على رغبتها في دراسة مفهوم الاغتراب الديني والإلحاد وارتباطهما في نقد المسيحية، وقد وَجَدَت هذه العناصر مجتمعة في فلسفة فويرباخ، إلا أنها قد واجهت بعض المشكلات التي قد تواجه أي باحث مبتدئ في مفهوم الاغتراب، وأهمها: الحاجة إلى التوسع في دراسة الفلسفة ومعرفة أهم الفلسفات التي أثرت وتأثرت بمقولات فويرباخ، قلة المصادر الإسلامية التي تتناول الفلسفات الإلحادية وتشرحها، ولذلك توصي الباحثة بالتالي:

- طرح مواد فلسفية في البرامج والدورات الأكاديمية للكلية من وجهة نظر إسلامية، تتيح للطلبة معرفة أهم الفلسفات وكيفية الرد عليها وفق منهج إسلامي محدد.
- إصدار عدد مخصص في مجلة الكلية، يتناول فيه مفهوم الاغتراب في جميع الفلسفات العربية والغربية من وجهة نظر إسلامية، ويكون هذا العدد بمثابة المرجع لكل باحث يريد التحدث عن الاغتراب.
- طرح مواد جامعية يتناول فيها المذاهب الإلحادية المعاصرة، والأفكار الحداثية المتأثرة بها، وكيفية الرد عليها وفق منهج إسلامي محدد.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

مؤلفات فويرباخ:

فويرباخ، لودفيغ، **أفكار حول الموت والأزلية**، ترجمة نبيل فياض (بيروت: دار الرافدين، 2017).

فويرباخ، لودفيغ، **جوهر الإيمان بحسب مارتن لوثر**، ترجمة جورج برشين، تقديم وتعليق وتدقيق نبيل فياض (بيروت: دار الرافدين، 2017).

فويرباخ، لودفيغ، **جوهر الدين**، ترجمة نبيل فياض (بيروت: دار الرافدين، 2017).

فويرباخ، لودفيغ، **جوهر المسيحية**، ترجمة جورج برشين، تقديم وتعليق وتدقيق نبيل فياض (بيروت: دار الرافدين، ط2، 2017).

فويرباخ، لودفيغ، **نحو نقديّةٍ لفلسفة هيغل ومبادئ فلسفة المستقبل ونصوصٌ أخرى**، ترجمة نبيل فياض، (بيروت: دار الرّافدين، ط 1، 2017).

ابن القيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، (دمشق: دار الكتاب العربي، د.ط، ج3، 1996م).

ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، **التبيان في أقسام القرآن**، (القاهرة: مكتبة المتنبي، د.ط، د.ت).

ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، تحقيق عبد الرحمن بن حسن (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت) ج1.

ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، ط3، 1994)

ارفون، هنري، **فيورباخ**، ترجمة إبراهيم العريس، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981) ص40.

آفرون، هنري، **فيورباخ** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981).

أنوود، ميخائيل، **معجم مصطلحات هيجل**، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام (مصر: المجلس الأعلى للثقافة، 2000).

البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، **صحيح البخاري**، تحقيق: جماعة من العلماء (بيروت: دار طوق النجاة، ط1، 1422م).

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، **التاريخ الكبير** (حيدر آباد – الدكن، دائرة المعارف العثمانية) المكتبة الشاملة.

باسكال، بليز، **خواطر**، ترجمة أدوار البستاني (بيروت: اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، 1972).

بدوي، عبد الرحمن، **دراسات في الفلسفة الوجودية** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1980).

بدوي، عبد الرحمن، **موسوعة الفلسفة** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، ج2، 1984).

بوازار، مارسيل، **إنسانية الإسلام**، ترجمة عفيف دمشقية (بيروت: دار الآداب، ط1، 1980م).

تارناس، ريتشارد، **آلام العقل الغربي**، نقله إلى العربية فاضل جتكر (السعودية: العبيكان، ط1، 2010)

أبو عبدالله الحليمي، الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري، **المنهاج في شعب الإيمان**، المحقق: حلمي محمد فودة (دمشق: دار الفكر، ط1، ج3 1979م)

حماد، حسن، **الإنسان المغترب عند إريك فروم** (القاهرة: مكتبة دار الكلمة، ط1، 2005).

حنفي، حسن، **دراسات فلسفية** (المملكة المتحدة: هنداوي، ج2، 2020).

حنفي، حسن، **من العقيدة إلى الثورة** (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ج2، د.ط، 2017).

خليفة، عبد اللطيف، **دراسات في سيكولوجية الاغتراب** (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، 2003).

الخولي، يمنى، **الوجودية الدينية** (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، 2017).

ديب، حنا، **هيغل وفويرباخ** (بيروت: دار أمواج، ط1، 1994).

الرازي: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دمشق: دار الفكر، ط1، 1979م)(5\467)

الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، **مفاتيح الغيب** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، ج21، 1420 هـ).

الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين** (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، د.ط، 1983).

رجب، محمود، **الاغتراب سيرة مصطلح** (القاهرة: دار المعارف، ط3، 1988).

رشا، مباركية، **الاغتراب في الفكر الوجودي** (جامعة العربي التبسي، الجزائر، 2020).

الرماح، إبراهيم، **الإنسانوية المستحيلة** (الرياض: مركز دلائل، 2019).

الزبيدي، مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المؤلفين، (الكويت: دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، 1965م).

سارتر، جان بول، **الوجود والعدم**، ترجمة عبد الرحمن بدوي (بيروت: منشورات دار الآداب، ط1، 1966).

سعيد، جلال الدين، **معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية** (تونس: دار الجنوب للنشر، 2004).

سوبيو، آلان، **الإنسان القانوني**، ترجمة عادل بن نصر (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2012).

شاخت، ريتشارد، **الاغتراب**، ترجمة كامل يوسف حسين (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1980).

طرابيشي، جورج، **معجم الفلاسفة** (بيروت: دار الطليعة، ط3، 2006).

عباس: إحسان، تاريخ **النقد الأدبي عند العرب**، (بيروت: دار الثقافة، ط4، 1983م)

عباس، فيصل، **الموسوعة الفلسفية عواصف فكرية بعد هيغل** (بيروت: مركز الشرق الأوسط الثقافي، ط1، ج8، 2011).

عبد الجبار، فالح، **الاستلاب هوبز، لوك، روسو، هيغل، فيورباخ، ماركس** (بيروت: دار الفارابي، ط1، 2018).

العتيبي، طارق، **الاغتراب دراسة تأصيلية فلسفية علمية** (الرياض: دار الكتاب الجامعي، ط1، 2018).

عطية، أحمد عبد الحليم، **الإنسان في فلسفة فويرباخ** (القاهرة: مؤسسة مجاز الثقافية، 2019).

العقل، ناصر، **شرح كتاب فضل الإسلام** (دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، الكتاب مرقم آلياً ورقم الجزء هو رقم الدرس).

عمر، أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة** (القاهرة: عالم الكتب، ط1، م1، 2008)

عويضه، كامل محمّد محمّد، **هيجل جورج وليم فردريك دراسة وتحليل في الفلسفة المعاصرة** (بيروت: دار الكتب العلميّة، ط 1، 1993).

الفار، أحمد السيد عبد الحميد، **مقالة الاغتراب الديني وتطبيقها على الإلهيات عند حسن حنفي**، جامعة الأزهر، 2021.

فروم، أريك، **المجتمع السوي**، ترجمة محمود الهاشمي (ط1، 2009).

فيتز، بول، **نفسية الإلحاد**، ترجمة مركز دلائل (الرياض، مركز دلائل، ط2، 2013)

كالفن، جون، **أسس الدين المسيحي** (لبنان، دار منهل الحياة، م1، ط1، 2017)

كالفن، جون، **أسس الدين المسيحي** (لبنان، دار منهل الحياة، م2، ط1، 2017)

لالاند: أندريه، **موسوعة لالاند الفلسفية**، تعريب خليل أحمد خليل، (بيروت، باريس: منشورات عويدات، ط2، 2001).

لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، **الموسوعة الفلسفية**، بإشراف م. روزنتال، ب. يودين، ترجمة سمير كرم (بيروت: دار الطليعة).

لوثر، مارتن، **أصول التعليم المسيحي الكتاخيسمس الصغير**، (بيروت: المركز اللوثري للخدمات الدينية في الشرق الأوسط، 1983)

ماركس: كارل، انجلز: فريدريك، **حول الدين**، ترجمة ياسين الحافظ، (بيروت: دار الطليعة، ط2، 1981)

ماركس، كارل، **العائلة المقدسة أو نقد النقد النقدي**، ترجمة حنا عبود (دمشق: دار دمشق للطباعة والنشر، 1978).

ماركس، كارل، **مخطوطات كارل ماركس لعام 1844**، ترجمة محمد مستجير مصطفى. (القاهرة: دار الثقافة الجديدة)

ماركيوز، هربرت، **العقل والثورة هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية**، ترجمة الدكتور فؤاد زكريا، (مصر: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970).

ماسترسن، باترك، **الإلحاد والاغتراب**، ترجمة هبة ناصر، (العراق: العتبة العباسية المقدسة، ط1، 2017)

ماسترسن، بارتك، **الإلحاد والاغتراب**، ترجمة هبة ناصر (العراق: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط1، 2017).

مساعدية، لزهر، **نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي** (الجزائر: دار الخلدونية، 2013).

مسلم: أبو الحسين، **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، 1599م).

نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، (القاهرة: مجمع اللغة العربية، ط2، 1972م)

النصراوي، نادية أحمد، **فلسفة فويرباخ بين المادية والإنسانية** (بيروت: دار الرافدين، ط 2، 2017).

نعيمة، وابل، **الاغتراب عند كارل ماركس** (الجزائر: كنوز الحكمة، 2013).

نيتشه، فريدريك، **عدو المسيح**، ترجمة جورج ديب، (سوريا: دار الحوار، ط2، د.ت) ص179

الوائلي، عامر، **الإنسية العربية المعاصرة**، (الجزائر: ابن النديم للنشر، ط1، 2016م)

اليوسف، علي محمد، **فلسفة الاغتراب** (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2013).

المراجع الأجنبية:

Feuerbach, L.: "**L'essence du christianisme**", presente et traduit de I'allemande par jean pierre osier, ed. Maspero, paris, 1982.

Kenny, Anthony, **a new history of western philosophy** vol. 4 **philosophy in the modern world**, Oxford University Press: Oxford, 2008.

ludwig Feuerbach, **principles of philosophy of the future,** 1843 translated by Zawar Hanfi, 1972.

مواقع الكترونية:

موقع معجم أكسفورد: تُصفح بتاريخ 29\2\2024

https://www.oxfordlearnersdictionaries.com/definition/english/alienation

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D8%B3%D9%86_%D8%AD%D9%86%D9%81%D9%8A

بو عزة، الطيب، مقال بعنوان "في دلالة مفهوم الاستلاب"، الجزيرة نت، 2007. تُصفح بتاريخ 9\3\2024

https://www.aljazeera.net/opinions/2007/7/25/%D9%81%D9%8A-%D8%AF%D9%84%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%84%D8%A7%D8%A8#:~:text=%D9%8A%D8%B9%D8%AF%20%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%84%D8%A7%D8%A8%20%D9%85%D9%86%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%81%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85,%D8%B9%D9%84%D9%89%20%D8%AD%D8%A7%D9%84%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A8%D8%B9%D9%8A%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A%D8%A9%20%D9%88%D9%86%D9%82%D8%AF%D9%87%D8%A7.

شرح الكتاب المقدس - العهد الجديد - القمص أنطونيوس فكري. تُصفح بتاريخ 29\2\2024
الرسالة إلى أهل أفسس 4 - تفسير رسالة أفسس

https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-02-New-Testament/Father-Antonious-Fekry/10-Resalet-Afasos/Tafseer-Resalat-Afacoc__01-Chapter-04.html#18

https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-02-New-Testament/Father-Antonious-Fekry/10-Resalet-Afasos/Tafseer-Resalat-Afacoc__01-Chapter-04.html#18

شرح الكتاب المقدس – العهد القديم – القمص أنطونيوس فكري. تُصفح بتاريخ 29\2\2024

مزمور 54 (53 في الأجبية) – تفسير سفر المزامير

https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Antonious-Fekry/21-Sefr-El-Mazameer/Tafseer-Sefr-El-Mazamir__01-Chapter-054.html

موقع Deutschland - مقال بعنوان "التاريخ الألماني حتى 1945". 28\1\2024

https://www.deutschland.de/ar/deutsche-geschichte-bis-1945